من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد

د. عزية طه

المقدمة :

لقد دأب كثير من المستشرقين والمنصرين وغيرهم من الأعداء على شن الحملات الظالمة، واختلاق الأكاذيب المضللة، والاتهامات الجائرة، والافتراءات الحاقدة، حول الإسلام ورسوله الكريم، وهي حملات قامت على التعصب، والحقد، والحسد والكراهية لهذا الذين وأهله.

ولقد لقيت السنة النبوية نصيبا وافرا من هذه الاتهامات والافتراءات .
من ذلك أن بعض المستشرقين قد ادعى : أن الرسول ﷺ قد اقتبس فكرة التوحيد عن الديانة اليهودية، وزعموا أن إعجاب النبي ﷺ باليهودية قد دفعه إلى التركيز على فكرة التوحيد. فالرسول ﷺ ـ حسب زعمهم ـ مدين لأحبار اليهود بمعرفته وتبنيه لفكرة التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة.

فهل الديانة اليهودية ديانة توحيد حقا كما يزعم هؤلاء المستشرقون؟ وما معنى مظاهر الشرك بالله والافتراء على رسله الكرام كما يتضح ذلك في عقائد اليهود والنصارى المنصوص عليها في كتبهم التي يزعمون أنها مقدسة؟ وهل كان رسول ﷺ في حاجة للاقتباس عن اليهود أو غيرهم؟ . وهل التوحيد في اليهودية الحالية وفي اليهودية التي كانت منتشرة في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده مطابق لما جاء به الدين الإسلامي الحنيف في هذا الشأن؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ستقوم الكاتبة بإلقاء نظرة عابرة على نشأة الاستشراق وأهدافه، ثم تقوم بتناول هذه الشبهات بالبحث والتحليل مستندة في ذلك على أصل التوحيد وماهيته في اليهودية كما يراها اليهود أنفسهم، مقارنة ذلك بما

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حول هذا الموضوع ، وذلك تمهيدا للرد على طعون المستشرقين حول أحاديث التوحيد.

وسوف يتناول هذا البحث بإذن الله تعالى الموضوعات التالية :

١ ـ نشأة الاستشراق وأهدافه.
٢ ـ استعراض افتراءات المستشرقين حول الأحاديث النبوية الواردة في التوحيد.
٣ ـ مظاهر الشرك وعدم تنزيه الرسل في اليهودية.
٤ ـ مظاهر التوحيد وتنزيه الرسل في الإسلام.
٥ ـ الرد على طعون المستشرقين حول أحاديث التوحيد.
٦ ـ مقارنة حول التوحيد وتنزيه الرسل بين اليهودية والإسلام.
٧ ـ الخاتمة.

نشأة الاستشراق وأهدافه:

لقد اشتدت مخاوف الأحبار والرهبان في الدول الأوروبية على مصير الديانتين اليهودية والمسيحية، وذلك بعدما توسعت الفتوحات الإسلامية، ولا سيما بعد دخول المسلمين بلاد الأندلس. ولقد نقل لنا صورة هذا التخوف المؤرخ الغربي تاتشر (Thatcher) في مؤلفه (المصدر لتاريخ العصور الوسطى) حيث يقول: «لقد قام المحمديون ـ ويقصد المسلمين ـ بحملات عنيفة في شمال إفريقيا، واستولوا على معظم البلدان والمدن هناك، مما أثار تخوف بابوات الكنائس، حتى ظن بعض النصارى أن نهاية الزمان قد أتت، ولقد وصل الخوف بالبابوات قمته عند استيلاء المحمديين على بلاد الأندلس، فشعر البابوات بهذا الخطر الذي كاد أن يقضي على المسيحية واليهودية فى أوروبا، فعملوا على تبصير أضحاب الملتين بهذا الخطر.

ولقد حرص بعض القساوسة على اقتناء القرآن للنظر في محتوياته، وجذب هذا انتباههم للغة العربية، فنشط بعض الرهبان في مدينة طليطلة، وقاموا بترجمة بعض الكتب العربية»[1].

وبعد القرن الثامن الهجري انصب نشاط النصاري على العمل وسط المسلمين باسم التبشير بالديانة النصرانية، وصاروا يدرسون الإسلام للتغلب عليه ودحره، وإحلال الديانة النصرانية محله، ولهذا فقد نادى دعاة التنصير بضرورة تعلم اللغة العربية ـ لغة المسلمين ـ والاستدلال بنصوص القرآن والسنة وجميع المؤلفات الإسلامية، ولقد بذلوا جهدا كبيرا للحصول على المعلومات في هذا المجال.

ولما كانت دوافعهم ونياتهم على هذا النحو من الخبث، فقد لجأوا إلى البحث عن الأقاويل المغلوطة والهدامة المتضمنة في مؤلفات بعض المنافقين، من أصحاب البدع والأهواء، الذين ينتسبون للإسلام زورا وبهتانا، وذلك للاستعانة بها في مهاجمة الإسلام.

وإذا تصفح أحدنا الإصدارات القديمة للمستشرقين يجدها مكتظة بالاتهامات الباطلة للإسلام وللنبي ﷺ، وهي تهم من السخف والوهن بحيث تدعو إلى الاشمئزاز، ولا تشجع على البحث أو الجدل أو النقاش الجاد، ذلك لأن جميع هذه

---

(١) مترجم عن:
Source Book for Medieval History. P.P. 85 - 86

التهم كانت قد ارتبطت بفكرة التبشير، وتنفير ابناء الملتين اليهودية والنصرانية عن الإسلام، بتصويره بتلك الصورة المنفرة الكريهة.

كما كان لفشل الحملات الصليبية المتكررة على الدول الإسلامية أثر كبير في اهتمام المنصرين بالثقافة الإسلامية، علهم يستطيعون دحر الإسلام عن طريق الغزو الفكري، بعد أن فشلوا في دحره بقوة السلاح. ولقد ظهر هذا الأسلوب الماكر الخبيث في وثيقة تاريخية للملك لويس التاسع - ملك فرنسا - بعد فشله في حملته الصليبية الثامنة، وبعد أن هزم هزيمة ساحقة أمام الفرسان المسلمين فكتب في هذه الوثيقة قائلا «إنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية»[1].

وعلى الرغم من ذلك: فإنه ظل يجمع المحاربين، ويعد الجيوش للقيام بحملة صليبية جديدة[2]، إلا أنه أوصى مساعديه في نفس الوقت بأن يعملوا على طمس معالم الفكر الإسلامي، والتشويش عليه، وترويض المسلمين للتشرب بالأفكار الغربية، عن طريق الغزو الفكري ما أمكن ذلك، كما أوصى شيعته وأتباعه بدراسة الحضارة الإسلامية، والقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، كمدخل لهزيمة المسلمين فكريا.

وبعد اندحار الملك لويس التاسع وموته، لم ينس خلفه من الملوك والقساوسة وصيته، بل عقدوا[3] مجمعا كنيسا عام ١٣١٢م أكدوا فيه على ضرورة تدريس اللغة العربية في جامعات أوروبا. كما ازدادت حركة المبشرين النصارى واليهود في عصر العقلانية والتنوير بالنسبة لأوربا - أي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حيث لجأ كثير من القساوسة والمنصرين إلى دراسة الإسلام، مستترين وراء شعارات البحث العلمي المنهجي، وضرورة النقد الحر للأديان، ولقد قاموا بناء على ذلك بتأسيس كليات متخصصة لتدريس اللغات الشرقية، وعلى رأسها اللغة العربية، في أهم العواصم والمدن الأوربية: كلندن، وباريس، وبرلين، وليدن، وغيرها.

ولقد كان الهدف الرئيس من إنشاء هذه المؤسسات هو تزويد المنصرين

---

(١)، (٢) Chronical of the Crusade P.P. 142 - 192

(٣) Creeds of the Churches P.P. 80 - 82

(٤) الأصنام: ١٩

بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية : من مدارس، ومعاهد، وجامعات، ليعيثوا فيها فسادا، بجانب تصيدهم لأبناء الدول الإسلامية، وإلحاقهم بهذه المؤسسات والإشراف على تعليمهم وتوجيههم، حتى يصيروا عملاء للفكر والثقافة الغربية، وأدوات هدم للفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، لا سيما بعد رجوعهم إلى بلدانهم، وتبوّئهم للمناصب القيادية في الدول التي وفدوا منها، ثم إنشائهم المزيد من المدارس والجامعات العلمانية التي ما فتئت تخرج مزيداً من المستغربين وأعداء الإسلام.

ولقد تم لبعض المستشرقين من اليهود والنصارى تأليف دوائر كاملة للمعارف باسم الإسلام، حيث دسوا فيها كثيرا من المعلومات المغلوطة، والأوهام والأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، ثم قاموا بتزويد المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي بها، فأصبحت بحكم الواقع من أهم المراجع المعتمدة لبعض دارسي الدين الإسلامي، بخاصة باللغات الأجنبية.

(٢) استعراض افتراءات المستشرقين حول الأحاديث الواردة في التوحيد.

يدعي كثير من المستشرقين : أن رسول ﷺ اقتبس فكرة التوحيد عن أهل الكتاب، وبخاصة اليهود. ولقد جاء هذا الزعم في كثير من مؤلفاتهم، نأخذ منها مؤلف الفريد غيوم المسمى (الإسلام) حيث ورد فيه : أن النبي ﷺ كان يقدم القرابين للأصنام، ولقد استشهد غيوم على ذلك بنص نقله عن ابن الكلبي جاء فيه : «وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : لقد أهديت للعزى شاة عفراء، وأنا على دين قومي»[١]

يقول غيوم معلقا على ذلك : «وكان ذلك بالطبع قبل أن يخبر من حوله بأنه رسول الله»[٢].

لقد ادعى غيوم كذلك : أن تقبيل الحجر الأسود له صلة بالعبادات الوثنية حيث قال : «على الرغم من أن الإسلام قد حرم إقامة الشعائر حول الأنصاب، وسماها رجسا من عمل الشيطان، وحض المؤمنين على اجتنابها، وعلى الرغم من أنه ﷺ قد حض أتباعه على ضرورة تجنب عبادة الأوثان، وأصر على ضرورة توحيد الله

---

(١) انظر Islam, P.P. 6 - 10

في كثير من الأحاديث التي تعج بها كتب السنة عند المسلمين، كقوله لصحابته «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»، لكنا نجد أن محمدا ـ ﷺ ـ قد أباح كل ذلك فيما يتعلق بتقبيل الحجر الأسود. وبالرغم من أن الإسلام قد عاب على الكفار لمس الأحجار والتبرك بها وعبادتها، إلا أن الوثنية قد تسللت إلى الإسلام، لأن كل العالم الذي كان يحيط بالإسلام كان يكتظ بالوثنيين، ومما لا شك فيه : أن الأحجار والأشجار والأصنام، وينابيع المياه، والآبار كانت من مقدسات الوثنيين، لأن منهم من كانوا يعتقدون أنها مساكن آلهتهم.

وما زالت عادة وضع قطع من الأقمشة والنقود والهدايا وغيرها في فروع شجرة مقدسة، أو حول صخرة تسكنها آلهتهم موجودة حتى اليوم في معظم بلاد الشرق الأدنى، ومما لا شك فيه أيضا : أن هذه المعتقدات تتنافى مع فكرة توحيد الإله الذي توجه إليه محمد ـ ﷺ ـ بعد معرفته لليهود وديانتهم، لكن نبي الإسلام لم يستطع أن يتخلى عنها كلها، وفضل التمسك ببعضها استمالة لعبدة الأوثان، لأنه كان يأمل أن يناصروه ويؤيدوا دعوته»[1].

وتحت عنوان : «تأثير اليهود على الديانة المحمدية». نراه يتحدث عن تاريخ اليهود وهجرتهم إلى جزيرة العرب، واستيطانهم في معظم أصقاعها، ووصولهم إلى رتبة الرئاسة وقيادة الشعوب العربية، والتأثير عليها في كل مجالات الحياة، ويزعم غيوم : أن اليهود في الحجاز بخاصة كانوا قد أقنعوا كثيرا من العرب باعتناق الديانة اليهودية، كما يزعم أيضا : أن نشاط اليهود الواسع في التجارة وخبراتهم بالزراعة جعل العرب يتأثرون بهم، فكبر اليهود في أعين العرب، وذلك مما أدى إلى تسرب بعض القصص الدينية اليهودية إلى الديانة الإسلامية ثم يؤكد غيوم هذا الزعم بقوله : «لقد كان هناك يهوديان ينحدران من أصل يمني، وهما اللذان لعبا دورا كبيرا في شرح وتفسير القرآن والسنة»[2].

ولكي يؤكد زعمه القائل : بأن فكرة التوحيد فكرة دخيلة على الإسلام، زعم غيوم : بأنه عثر على نسخة غير مكتملة من سيرة ابن اسحق، لم تنشر بعد، فيها تأكيد لزعمه القائل : إن محمدا ﷺ كان يميل إلى عبادة الأوثان قبل مبعثه. ولقد ورد

---

(١)، (٢) Islam P.P. 75 - 81

في ذلك المخطوط كما يدعى غيوم : أن رسول ﷺ قال : «إن أول من لامني على عبادة الأوثان هو زيد[1] بن عمرو، ابن نفيل، وهو أول من نهاني عن عبادة الأصنام.
لقد جلست معه يوما وكنت أحمل بعض القرابين لتقديمها للآلهة، وكان زيد بن حارثة معي، فقدمنا من هذا الطعام لزيد بن عمرو، فرفض أن يأخذ منه شيئا، وأخبرني أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، ومنذ ذلك اليوم لم أقرب صنما حتى شرفني الله برسالته»[2].

ثم يعلق غيوم على هذا بقوله : «إن النهي عن أكل لحوم القرابين متضمن في توراة اليهود، وربما أن اليهودية كانت مؤثرة وفعالة على عرب الجزيرة، فهذا يقوي[3] الاعتقاد القائل : إن زيد بن عمرو، بن نفيل، كان متأثرا باليهودية».

ولقد أورد غيوم مقارنته[4] بين بعض أسفار التوراة وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، ليدلك أن أحاديث التوحيد مأخوذة عن توراة اليهود.
منها الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده، في حديث طويل، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه «أنت إلهي لا إله غيرك». [5].

يدعى غيوم أن هذا الحديث وأمثاله مأخوذة عن الأسفار التي تتحدث عن توحيد الله، مثل ما جاء في سفر التثنية : «لتعلم أن الرب هو الإله، ليس إله سواه». [6] ومثل : «هو الإله في السماء من فوق، وفي الأرض من أسفل، ليس إله سواه»[7].

يزعم غيوم أيضا : إن الأحاديث التي تدعو إلى إفراد الله بالعبادة مأخوذة عن أسفار التوراة، مثل الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده، من حديث معاذ بن جبل، وفيه... «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا...»[8]

---

(١) هو والد سعيد بن زيد، وسعيد هو أحد المبشرين بالجنة. انظر الاستيعاب : ٢/٦١٥، ٩١٦.
(٢)، (٣) Islam P.P 8 - 12
(٤) The Tradition of Islam P.P. 83 - 90
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) : ١٣/٣٧١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).
(٦)، (٧) سفر تثنية الاشتراع : ٤/٣٥، ٤٠ من الكتاب المقدس ١/٣٠٧.
(٨) اخرجه مسلم في كتاب الايمان، باب حق العباد على الله : ١/٢٣١، ٢٣٢ (من صحيح مسلم، شرح النووي).

يدعى غيوم : أن هذا الحديث مأخوذ عما جاء في سفر التثنية أيضا، كقولهم : «الرب إلهكم تتعبون وتتقون ووصاياه تحفظون.. وإياه تعبدون»(٤).

ويدعى غيوم أيضا : أن صفات الله تعالى التي وردت في السنة الشريفة مأخوذة عن أسفار التوراة، مثل الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : «كنا مع النبي ﷺ، فكنا إذا علونا كبرنا. فقال : اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، تدعون سميعا بصيرا قريبا...(٥).

وهذا الحديث في نظر غيوم مأخوذ عن سفر يونان ـ سيدنا يونس ـ وفيه : «فأخذوا يونانا وألقوه في البحر... فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام، وثلاث ليال، وصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، وقال : إلى الرب صرخت في ضيقي، فاستجاب لي من جوف الجحيم، استعنت فسمع صوتي»(١)

ولقد ادعى المستشرق ستوبرت أيضا في مؤلفه المسمى (نظم العقائد المغايرة للمسيحية : الإسلام ومؤسس الإسلام) : أن رسول الله ﷺ قد أخذ أسس التوحيد عن الديانتين اليهودية والنصرانية، كما ادعى : أن تأثر النبي ﷺ باليهودية كان أكبر من تأثره بالمسيحية، وزعم كذلك : أن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب، مما سهل عليه الأخذ عن أهل الكتاب، إلا أنه أخفى هذه الحقيقة عن صحابته، زاعما لهم بأنه أمي ولقد جاء كل ذلك في كتابه المذكور أعلاه، حيث يقول : «لقد تأثر محمد ﷺ بمعتنقي ديانتي التوحيد : اليهودية والمسيحية، إذ لم يبخل عليه الأحبار والرهبان بالمعلومات التي تتعلق بهاتين الديانتين، وتشهد بذلك كتب السيرة عند المسلمين أنفسهم، فهي تروي لنا رحلات محمد ﷺ إلى الشام، وكيف أنه التقى ببعض الرهبان في رحلاته كالراهب بحيرا، والذي يدعي المسلمون أنه بشر محمدا ـ ﷺ ـ بأنه نبي اليهود المرتقب.

إن مثل هذه الأخبار كانت قد شدت انتباه هذا الطفل اليتيم إلى الديانة المسيحية،

---

(٤) سفر تثنية الاشتراع : ٥/١٣ من الكتاب المقدس ٣٢٩/١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان الله سميعا بصيرا : ٣٧٢/٣ (من صحيح البخاري، بشرحه فتح الباري).

(١) سفر نبوءة يونان : ١٥/١، ١/٢ ـ ٣ من الكتاب المقدس ٧٢٠/٢.

وبالتالي إلى الديانة اليهودية، لأنها أصل المسيحية، ليس هذا فحسب، بل إن اليهودية كانت منتشرة في جزيرة العرب، واعتنقها عدد ليس بالقليل من العرب قبل الإسلام.

ولشدة ذكاء محمد ﷺ علم أن اليهود كانوا يشكلون قوة هائلة، بعكس النصارى، لذا نراه يزعم بأنه فعلا النبي الذي كان يرقبه اليهود، ومما لا شك فيه، أن كسب اليهود يعني كسب أكبر عدد من المناصرين لدعوته. لكن اليهود لم يعترفوا بنبوته، وسخروا منه، مما جعل رسول المسلمين يغير قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة، ويعلن أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة، كما أعلن أنهما أول من دعا إلى توحيد الله وذلك ليثبت لأتباعه أنه لم يأخذ فكرة التوحيد عن اليهود، بل عن جدِّي العرب... ويغلب على ظني أن محمدا ﷺ لم يكن أميا لأن هناك بعض الاثار الإسلامية التي تدل بأنه كتب صلح الحديبية بيده»[1].

وتبع ستويرت خطوات غيوم في المقارنة بين الأحاديث الشريفة وأسفار التوراة، ليؤكد زعمه القائل: إن النبي ﷺ أخذ أحاديث التوحيد عن أسفار اليهود.

ومن أمثلة الأحاديث التي زعم أنها مأخوذة عن أسفار التوراة: الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده، من حديث عبدالله، قال: «دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد»[2].

يدعى ستويرت: أن أمثال هذه الأحاديث التي تدعو إلى توحيد الله وعدم إشراك الأصنام والأوثان معه في العبادة مأخوذة عن بعض أسفار اليهود، ومثل ذلك ما جاء في سفر تثنية الاشتراع كقولهم: «لا يكن لك آلهة تجاهي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا، صورة ما في السماء من فوق، وما في الماء من تحت الأرض، تسجد لها وتعبدها»[3].

ويعتقد ستويرت: أن تحريم الكهانة والسحر واعتباره شركا بالله مأخوذ عن

---

(١) Non christian Religions : Islam and its Founder, P.P. 53 - 55.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المغازي، باب فتح مكة ١٣٣/١٢ (من صحيح مسلم شرح النووي).

(٣) سفر تثنية الاشتراع: ٥/٧ ـ ٩ من الكتاب المقدس ٣٠٨/١.

أسفار اليهود، مثل الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده، من حديث نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال : «من أتى عرافا فسأله عن شيء لن تقبل له صلاة أربعين يوما»[1].

وهذا الحديث مأخوذ ـ حسب رأي ستويرت ـ عن كتابهم المقدس، حيث ورد فيه ما يلي : «لا يوجد منكم من يتعاطى عرافة ولا مشعوذا. . . ولا ساحرا»[2].

ولقد نهج المستشرق اليهودي جويتين نهج غيوم واستويرت، زاعما أن الإسلام ما هو إلا نسخة مشوهة عن اليهودية والمسيحية. ولقد ادعى في مؤلفه المسمى (الصلة بين العرب واليهود عبر القرون) أن محمدا ﷺ قد اطلع على قصص الأنبياء في اليهودية، ثم اقتبسها ـ مع بعض التحريف والتغيير ـ وضمنها رسالته. يقول هذا المستشرق اليهودي في مؤلفه المذكور آنفا ما يلي : «لقد أعلن محمد ﷺ أمام قومه العرب أن رسالته من عندالله، وأن ما جاء به يؤيد ما أنزل على اليهود والنصارى، مما يدل دلالة قاطعة : أن العلاقة بينه وبين الأحبار والرهبان وأهل الملتين كانت قوية.

ولقد أتى محمد ﷺ بقصص تكاد تطابق ما جاء في التوراة، مع بعض التشويه لبعض الحقائق عن الأنبياء، وربما نتج عن شعوره بأنه خير هؤلاء الأنبياء جميعا وخاتمهم، ولقد شملت قصصه بعض أنبياء بني إسرائيل : كنوح وسفينته، وإبراهيم وزوجاته، وموسى ومعجزاته الحسية، وداوود، وسليمان، وتوليهما الملك وتزويدهما بالحكمة، وغيرهم، ولكن أغفل ذكر كثير من الأنبياء والملوك ذوي الشأن في الديانة اليهودية.

إن كل هذه القصص الواردة على لسان محمد ﷺ تدل على أن هناك جماعة من العرب كان لها إلمام واسع باليهودية ونصوص التوراة، وكان لهذه الجماعة صلة وثيقة بمحمد ﷺ، ولم يكن أهل مكة كاذبين عند اتهامه بتأليف القرآن بمساعدة إناس يملون عليه أساطير الأولين. بل كان لديهم ما يبرر اتهامهم ويقويه، وبخاصة أن المؤرخين يؤكدون : أن اليهود كان لهم نفوذ كبير على جزيرة العرب.

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الطب والمرض والرقيي، باب تحريم الكهانة واتباع الكهان ١٤/١٢٧ (من صحيح مسلم شرح النووي).

(٢) سفر تثنية الاشتراع : ١٨/١٠ من الكتاب المقدس ١/٣٣٠.

إن الدليل القاطع على أن محمدا ﷺ ـ قد تأثر باليهودية واكتسب منها القوة : أن موسى ـ عليه السلام ـ يحتل مكانة رفيعة في قرآن محمد ﷺ وسنته، ولأن الآثار المتعلقة بموسى تمتد لتشمل معظم سور القرآن، ومعظم الأحاديث، مما يدل على أن موسى كان قد استحوذ على تفكير محمد ﷺ، وأثار إعجابه، للدرجة التي جعلته يحاول ابتكار كتاب مقدس خاص به، لمجاراة موسى». [1]

وبعد ذلك يزعم جويتين : أن محمدا ﷺ نقل التوحيد عن اليهود، ولقد أورد بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، من كتب السنة الصحيحة، ثم زعم أنها مأخوذة عن أسفار اليهود، وبخاصة ما ورد في سفر تثنية الاشتراع، ولقد زعم كذلك : أن صفات الله وأسماءه الحسنى مأخوذة عن اليهودية أيضا، وأورد في ذلك بعض الأمثلة، منها ما يلي :

الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري، من حديث وراد مولى المغيرة بن شعبة، قال: «كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان : أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة إذا سلم : لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1].

لقد زعم جويتين أن هذا الحديث مأخوذ من بعض أسفار التوراة، مثل : «اسمع يا إسرائيل، إن الرب إلهنا رب واحد»[2].

ومن أمثلة ذلك أيضا الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[3]

يزعم جويتين : أن هذا الحديث مأخوذ عما جاء في سفر التثنية مثل : «أحب

---

(١) Jews and Arabas : Their Contact Through Ages, PP. 28 - 30 :

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة ١١/١٣٢، ١٢٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) سفر تثنية الاشتراع : ٦/٤ من الكتاب المقدس ١/٣١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الايمان، باب حلاوة الايمان ١/٦٠ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

الرب إلهك من كل قلبك، وكل نفسك، وكل قدرتك»[1] ومن أمثلة ذلك أيضا أسماء الله وصفاته التي وردت في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواية، قال : «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[2].

ويدعى جويتين أيضا : أن صفات الرحمة والعزة والقدرة وغيرها مأخوذة عن بعض أسفار التوراة التي تتحدث عن نفس الموضوع، مثل : «أيها الرب إلٰه إسرائيل، لا إله مثلك في السماء وفي الأرض حافظ العهد والرحمة لعبيدك»[3] ومثل : «إن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، يحفظ العهد والرحمة لمحبيه، وحافظي وصاياه»[4] ومثل «توبوا إلى الله فإنه رؤوف رحيم، طويل الأناة، وكثير الرحمة»[5].

ومثل : «إن الرب إلهك هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار الرهيب»[6].

ومثل «حيٌّ أنا يقول السيد الرب»[7].

ومثل : «فأجاب أيوب الرب وقال : قد علمت أنك قادر على كل أمر، فلا يتعذر عليك مراد»[8].

(٣) مظاهر الشرك وعدم تنزيه الرسل في اليهودية :

اليهودية بين التوحيد والشرك :

توجد آيات كثيرة في أسفار اليهود تشير إلى توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن النقائص بخاصة في الوصايا التي ينسبونها لتوراة موسى عليه السلام.

---

(١) سفر تثنية الاشتراع : ٦/٥ من الكتاب المقدس ٣١٠/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد ٢١٤/١١ (من صحيح البخاري، بشرحه فتح الباري).

(٣) سفر أخبار الايام الثاني : ١٤/٦ من الكتاب المقدس ٧٢٩/١.

(٤) سفر تثنية الاشتراع : ٩/٧ من الكتاب المقدس ٣١٢/١.

(٥) سفر يوئيل : ١٣/٢ من الكتاب المقدس ٧٠٢/٢.

(٦) سفر تثنية الاشتراع ١٧/١٠ من الكتاب المقدس ٣١٧/١.

(٧) سفر حزقيال : ٦/٣٥ من الكتاب المقدس ٦١٨/٢.

(٨) سفر ايوب : ١/٤٢، ٢ من الكتاب المقدس ٤٩/٢.

فهل حافظ اليهود على توحيد الله وتنزيهه كما أوصاهم موسى والأنبياء من بعده؟ وهل تمسك اليهود بتلك الأقوال التي وردت في التوراة؟ وهل حافظ اليهود على تلك العبارات؟ أم خلطت بعبارات أخرى تناقض وتنافي توحيد الخالق سبحانه وتعالى؟ وهل سلمت توراة اليهود من الدس والتشويه؟ ومن اتهام أنبياء الله بالباطل والصاق التهم والنقائض بهم؟.

للإجابة على مثل هذه الأسئلة، سوف نستعرض أولا الأسفار التي دعت إلى تنزيه الله وعدم الإشراك به، ثم نورد الأسفار التي تناقض فكرة التوحيد وتدعو إلى الإشراك بالله، وبعد ذلك نتعرض إلى الأسفار التي نسبت الرذائل وفعل المنكرات لأنبياء الله، الوارد ذكرهم في الكتاب الكريم.

أ ـ مظاهر التوحيد في بعض أسفار اليهود :

نسب مؤلف سفر التكوين بعض الفقرات إلى توراة موسى، وفيها : أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام : بأن الله وحده هو مالك السموات والأرض. جاء في سفر التكوين ما يلي : «مبارك إبرام من الله العلي، مالك السموات والأرض. . . فقال إبرام. . . رفعت يدى إلى الرب الإله العلي، مالك السموات والأرض»[1].

وفيه أيضا : إن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأراه قدرته، حتى أدرك سيدنا إبراهيم كثيرا من الحقائق المتعلقة بالله تعالى، وصار خليلا للرحمن «ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له : أنا الله القدير اسلك أمامي، وكن كاملا»[2] وفيه «أنت إلهنا الذي طردت سكان هذه الأرض من وجه شعبك إسرائيل، وأعطيتها لنبيك إبراهيم، خليلك إلى الأبد»[3] وفيه أيضا : إن الأنبياء هم عباد اختارهم الله لتبليغ رسالته «أما أنت يا إسرائيل عبدي، ويايعقوب الذي اخترته، نسل إبراهيم خليلي»[4].

---

(١) سفر التكوين : ١٤/٢٠، ٢٢ من الكتاب المقدس ١/٢٧.
(٢) سفر التكوين : ١٧/١ من الكتاب المقدس ١/٣٠.
(٣) سفر أخبار الأيام الثاني : ٢٠, ٧٠ من الكتاب المقدس ١/٧٥٠.
(٤) سفر اشعياء : ٤١/٩، ١٠ من الكتاب المقدس ٢/٣٩٣.

ولقد وصفت بعض أسفار التوراة ـ المنسوبة لأنبياء بني إسرائيل وملوكهم ـ الله سبحانه وتعالى بأنه حي قيوم. ومن ذلك ما جاء في سفر يشوع: «الحي الدائم خلق جميع الأشياء»[1] وجاء في سفر صفنيا: حي أنا رب الجنود، إله إسرائيل».[2]

ولقد صرحت بعض أسفار العهد القديم بأن الله تعالى لاتدركه الأبصار، وهو يدركها، ولا يستطيع أحد أن يراه في هذه الدنيا، لذا حثت هذه الأسفار بني إسرائيل على عدم عمل التماثيل والتصاوير لله تعالى. ويظهر لنا هذا في سفر التثنية المنسوب لسيدنا موسى عليه السلام، يحذر فيه بني إسرائيل من عمل الأوثان، ويذكرهم بعهد الله قائلا: «قال لي الرب: اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي، لكي يتعلموا أن يخافونني كل الأيام التي هم فيها على الأرض، ويعلموا أولادهم، فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وضباب، فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام الرب، ولكن لم تروا صورة بل صوتا... إنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا، صورة، مثال ما، شبه، ذكر، أو أنثى»[3].

وهناك قول منسوب لسيدنا يعقوب عليه السلام يقول عن الله عز وجل: «هو ذا يمر عليَّ ولا أراه، ويجتاز ولا أشعر به»[4] كما جاء في سفر أشعياء: «إنك لإله محتجب يا إله إسرائيل المخلص»[5]. وهناك قول منسوب لسيدنا داود عليه السلام يصف الله قائلا: «أين أذهب من روحك؟ وأين أفر من وجهك؟ إن صعدت إلى السماء فأنت هناك. إن أخذت أجنحة الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضا، يداك تهديني، ويمينك تمسكني... إن الظلمة تغشاني... ولا تظلم الظلمة لديك، والليل كالنهار يضيء... اعترف لك، لأنك أعجزت فأدهشت«.[6] جاء

---

(١) سفر يشوع: ١/١٨ من الكتاب المقدس ٢/٢٨٩.

(٢) سفر نبؤة صفنيا: ٢/١١ من الكتاب المقدس ٢/٧٤١.

(٣) سفر تثنية الاشتراع: ١١/٤٤ ـ ١٧ من الكتاب المقدس ١/٥، ٣، ٣٠٦.

(٤) سفر أيوب: ١٢/٩ من الكتاب المقدس ٢/١١٥.

(٥) سفر أشعياء: ١٥,٤٥ من الكتاب المقدس ٢/٤٠٠.

(٦) المزامير: ١٣٨/٨ ـ ١٥ من الكتاب المقدس ٢/١٥٧.

مثل هذا القول في نبوءة أرميا أيضا، حيث قال : «إلهنا عن قريب. . . ولست إلها عن بعد، أيستخفي إنسان في الخفايا وأنا لا أراه؟. . أما أملأ انا السموات والأرض؟. . »[1].

نجد كذلك أن بعض أسفار العهد القديم دعت إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالربوبية والعبادة ووصفته بأنه واحد، أزلي، أبدي، منزه عن الشرك، وأن طبيعة الله ثابتة لا تتغير. ولقد جاء في بعض الأسفار ما يلي : «أيها الرب الإله لاندَّ لك، ولا إله سواك، على كل ما سمعناه بآذاننا»[2]. وهناك قول منسوب لسيدنا موسى فيه : «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا إله واحد »[3] وقول آخر فيه «الرب هو الإله ليس إله آخر سواه»[4]. وهناك قول آخر منسوب إلى الله سبحانه وتعالى وفيه « أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيري»[5] ومنها : «بمن تشبهونني وتعادلونني، وبمن تمثلوني لنتشابه!!. اذكروا هذا، وكونوا رجالا. ورددوه في قلوبكم أيها العصاة. . . إني أنا الله وليس آخر«[6]. وهناك قول منسوب إلى الله تعالى، حيث يخاطب سيدنا يعقوب عليه السلام بقوله : «الآن اسمع يا يعقوب عبدي، ويا إسرائيل الذي اخترته : أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيري، ها أنتم شهودي، هل من إله غيري؟ صناع التماثيل كلهم باطل، ومشتهياتهم لا فائدة فيها، وهم شهود عليها، لا تبصر ولا تفهم. . . اذكر هذا يا يعقوب، ويا إسرائيل، فإنك عبدي. . . »[7]. ومنها قول منسوب إلى الله تعالى وفيه : «أنا الرب لا أتغير«[8].

(ب) **مظاهر الشرك في بعض أسفار اليهود :**

على الرغم من كثرة الأسفار التي رأيناها في شأن التوحيد وتنزيه الخالق سبحانه وتعالى، إلا أن مؤلفي التوارة لم يلزموا أنفسهم بما جاء في نصوص تلك

---

(١) سفر أرميا : ٢٣/٢٥، ٢٦ من الكتاب المقدس ٤٦٨/٢.
(٢) سفر أخبار الأيام الأول : ١٧/٢١ من الكتاب المقدس ٧٠٢/١.
(٣) سفر تثنية الاشتراع : ٦/٥ من الكتاب المقدس ٣١٠/١.
(٤) سفر تثنية الاشتراع : ٤/٣٥ من الكتاب المقدس ٣٠٧/١
(٥) سفر نبؤة أشعياء : ٢٤/٦ من الكتاب المقدس ٣٠١/٢.
(٦) سفر نبؤة أشعياء : ٤٦/٥ ـ ١٠ من الكتاب المقدس ٤٠١/٢
(٧) سفر نبؤة أشعياء : ٤٤/١ ـ ٢١ من الكتاب المقدس ٣٩٧، ٨٣٩٨
(٨) سفر نبؤة ملاخي : ٣/٧ من الكتاب المقدس ٧٦٤/٢.

الأسفار، بل أتوا بما يناقضها دون تبرير أو اعتذار، كما أنهم لم يكلفوا أنفسهم حتى محاولة الجمع بين هذه المتناقضات، أو تأويلها بما يجعل النصوص متوافقة متناسقة ومقبولة. ويبدو أن هذه المتناقضات أتت نتيجة لتأثر اليهود بالبيئات المختلفة التي عاشوا فيها بجانب تحريف القائمين على أمر الديانة اليهودية لتوراة موسى، تبعا لميولهم ونزعاتهم وأهوائهم الشخصية.

ومن هنا جاء تجسيم الإله وتشبيهه بخلقه، وتصويره في شكل صنم يعبد، ولقد أقر بذلك مؤلف سفر أشعياء حيث يقول: «إنهم يفرغون الذهب من الكيس، ويزنون الفضة بالميزان، ويستأجرون صانعا، فيصنع ذلك إلها، فيسجدون له ويخرون... لا يبرح هذا الإله من موضعه، بل يصرخ إليه صارخ فلا يجيب، ولا يخلصه من ضيقه»[1].

ولم يستح مؤلف سفر الخروج من أن ينسب إلى الله تعالى الكذب والخيانة، والتآمر مع اليهود بالباطل، ضد الشعوب والأمم الأخرى، وادعى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر بني إسرائيل بسرقة أمتعة المصريين عند خروجهم من مصر، ويظهر ذلك في سفر الخروج حيث ادّعى مؤلفه أن الله سبحانه وتعالى قال: «ولا تمضوا فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها، أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين[2].

جاء في هذا السفر أيضا: «فتكلم الرب على مسامع الشعب: أن يطلب الرجل من صاحبه، والمرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب... فصنع بنو إسرائيل كما أمر موسى، فطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وآتى الرب الشعب حظوة في عيون المصريين، فأعاروها لهم وسلبوا المصريين»[3].

ولقد نسب مؤلف الخروج إلى الله تعالى الجهل أيضا، وذلك عندما أورد في سفره قصة خروج اليهود من أرض مصر، وزعم أن الله تعالى أمر أهل كل بيت من بني إسرائيل أن يذبحوا كبشا، ويلطخوا بدمه أبواب بيوتهم، كي يستطيع الله ـ بزعم كاتب السفر ـ أن يميز بين بيوت بني إسرائيل، وبيوت أعدائهم، وبالتالي لا

---

(١) سفر نبوءة أشعياء: ٤/٤٦ ـ ٨ من الكتاب المقدس ٤٠١/٢.

(٢) سفر الخروج: ٢٣/١٢ ـ ١٥ من الكتاب المقدس ١١٦/١.

(٣) سفر الخروج: ٢/١١، ١٢، ٢٦، ٢٧ من الكتاب المقدس ١١٧/١/١١٨.

ينزل البلاء والدمار على بيوت الإسرائيليين، وهذا هو نصُّ السفر : «أنا أجتاز في أرض مصر في تلك الليلة، وأقتل كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم. . . أنا الرب، ليكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا تحل بكم ضربة هلاك إذا ضربت أرض مصر، ويكون هذا اليوم لكم ذكرا، تعيدونه عيدا للرب مدى أجيالكم، فريضة أبدية» .[٢]

إن مؤلف سفر الخروج قد حاول جهده أن يبريء بني إسرائيل من السرقة والغدر والخيانة، وذلك عن طريق نسبة هذه الصفات والأفعال المشينة إلى الله جل وعلا، ليكسبها صفة الشرعية، وليخلق الأعذار لبني إسرائيل عند ارتكابها، لأنهم بزعمه إنما يستجيبون لتوجيه إلاههم وخالقهم الذي يقدسونه.

وعلى الرغم من وجود الأسفار التي نهت عن تشبيه الله بخلقه، والتي بينت أن الله ليس كمثلة شيء، نجد أن مؤلف سفر التكوين يزعم أن الله سبحانه وتعالى قد جاء في صحبة ملكين لزيارة إبراهيم الخليل، وأن الله وملائكته أكلوا من طعام إبراهيم عليه السلام، واستراحوا في ظل شجرة وبشروه بمولد ابنه إسحاق.
يروى لنا مؤلف سفر التكوين تلك القصة بقوله : « . . وتجلى له - أي لإبراهيم - الرب وهو جالس بباب الخباء. . فرفع طرفه ونظر، فإذا ثلاثة رجال وقوف أمامه، فلما رآهم بادر للقائهم. . وقال : سأقدم لكم قليلا من الماء، فتغسلون أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة، وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم، فأسرع إبراهيم إلى الخباء، إلى سارة وقال : هلمي ثلاثة أصواع من دقيق سميد، فاعجنيها واصنعيها مليلا، وبادر إبراهيم إلى البقر فأخذ عجلا رخصا ودفعه إلى الغلام، فأسرع في إصلاحه، ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي أصلحه، وجعل ذلك بين أيديهم، وهو واقف أمامهم تحت الشجرة، فأكلوا فقال - أي الله تعالى بزعمه : سيكون لسارة امرأتك ابن»[١].

أما مؤلف سفر الخروج : فقد زعم أن سيدنا موسى ومجموعة من شيوخ بني إسرائيل كانوا قد رأوا الله تعالى وشاهدوه، هذا على الرغم مما جاء في بعض الأسفار السابقة تصريحا من أنبياء بني اسرائيل، وبخاصة موسى، أن الله لا يُرى في هذه

---

(٢) سفر التكوين : ١٣/١٢ - ١٥ من الكتاب المقدس ١/١١٦.
(١) سفر التكوين : ١/١٨ - ١٣ من الكتاب المقدس ١/٣١، ٣٢.

الدنيا. ولقد جاء في السفر ما يلي حول هذا الموضوع: «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صدفة من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء في النقاوة، لكنه لم يمد يده - أي الله تعالى - إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا»[1].

ولم يكتف مؤلف سفر الخروج بهذا، بل زعم أن جميع شعب إسرائيل رأوا الله عيانا بيانا حيث يقول: «فأجاب جميع الشعب وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل، فرد موسى كلام الشعب إلى الرب. فقال الرب لموسى: ها أنا أت إليك في ظلام سحاب، لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك، فيؤمن بك أيضا... وفي اليوم الثالث نزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء»[2].

وقد بلغ تجسيد الذات الإلهية عند اليهود إلى الزعم أن سيدنا يعقوب عليه السلام قد صارعه وتغلب عليه.

يروي لنا مؤلف سفر التكوين أيضا تلك القصة العجيبة الغريبة بقوله: «بقي يعقوب وحده فمصارعه رجل - الله - إلى مطلع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه، فلمس يعقوب حق وركه، وانخلع حق ورك الله في مصارعته له. وقال، أي الله:

أطلقني، لأنه قد طلع الفجر، فقال يعقوب: لا أطلقك أو تباركني، فقال له ما اسمك؟ قال: يعقوب، قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل... وسأله يعقوب وقال: عرفني اسمك، فقال: لم سؤالك عن اسمي؟ وباركه هناك وسمى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا: إني رأيت الله وجها لوجه»[3].

إن الأمثلة في هذا المجال كثيرة ومتعددة، ولا يسعنا إلا أن نقول - بعد استعراض المتون المتعارضة في العهد القديم، فيما يختص بموضوع الإلوهية والوحدانية. وتنزيه ذات الله وصفاته وأسمائه - لا يسعنا إلا أن نقول: إنه لا توجد هناك أقوال ثابتة تبين لنا حقيقة التوحيد وما هيته في اليهودية، لأن اليهود قد ضمنوا التوراة كثيرا من المتون المتعارضة، التي لا يمكن الجمع أو التوفيق بينها، وهذا يدل على أن أفكار مؤلفي هذه الأسفار كانت متشتتة، وموزعة بين الوثنية المتمثلة في

---

(١) سفر الخروج: ١٩/٧ - ١٣ من الكتاب المقدس ١/١٢٩.
(٢) سفر الخروج: ١٩/٧ - ١٣ من الكتاب المقدس ١/١٢٩.
(٣) سفر التكوين: ٣٢/٢٤ - ٣٠ من الكتاب المقدس ١/٦٠.

تجسيد الله وتشبيهه بخلقه وجعل الأنداد والنظائر له، وبين عقيدة التوحيد الخالصة التي جاء بها أنبياء الله المذكورون في توراة اليهود، وفي القرآن والسنة عند المسلمين.

عدم تنزيه اليهود للأنبياء والرسل:

لقد ألصق اليهود كثيرا من النقائص والتهم بأنبياء الله ورسله، ووصفوهم بصفات لا تليق بأنبياء ورسل اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من بين الخلق، وكلفهم بتبليغ ما أوحى إليهم من عقائد وتشريعات. وسوف أستعرض هنا بعض الأمثلة الواردة في العهد القديم لأوضح ما أرمي إليه.

لقد وصف مؤلف سفر أرميا أنبياء الله بالحماقة وبالتنبؤات الكاذبة، وزعم أنهم كانوا يساعدون الفساق والأشرار والمفسدين في الأرض، ولا يتورعون هم أنفسهم عن معصية الخالق، وارتكاب الآثام والموبقات، ولقد جاء في هذا السفر قول منسوب إلى الله تعالى هذا نصه: «يا أرض، استمعي إلى كلمة الرب، هكذا قال الرب للأنبياء: قد انكسر قلبي في داخلي، ورجفت كل عظامي في داخلي لأن الأرض امتلأت من الفساق، وناحت من أجل اللعن، ويبست مراتع البرية، وصارت مساعيهم شريرة، وجبروتهم غير مستقيم، لأن النبي والكاهن كافران، وفي بيتي وجدت شرهما، يقول الرب أيضا: . . ففي أنبياء السامرة رأيت حماقة، قد تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل، وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه الفسق، رأيت السلوك في الكذب، قد شدوا أيدي فاعلى الشر. . . من أنبياء أورشليم خرج الكفر إلى كل الأرض. . . يتكلمون برؤيا قلوبهم، لا عن فم الرب. . إني سمعت ما قاله الأنبياء الذين يقصدون أن ينسوا شعبي اسمى لأجل أحلامهم. . . كما نسي آباؤهم اسمى لأجل البعل»[1].

وجاء في هذا السفر قول آخر منسوب إلى الله تعالى هذا نصه: «قد حدث في الأرض أمر مدهش فظيع، الأنبياء يتنبأون زورا، والكهنة يتسلطون بأيديهم، وشعبي يحب مثل هذه الأمور»[2].

وهناك قول شبيه بهذين القولين في سفر حزقيال جاء فيه: «في داخلها ـ الملة

(١) سفر نبوءة أرميا: ٩/٢٣ ٢٧ من الكتاب المقدس ٢/٧ ٤٦، ٨٤٦٨

(٢) سفر نبوءة أرميا: ٣/٥ من الكتاب المقدس ٤٣٩/٢.

اليهودية ـ فتنة أنبيائها، كأسد زائر مفترس، قد التهموا النفوس، وأخذوا المال والنفس، وكثروا الأرامل في وسطها، كهنتها تعدوا شريعتي، ودنسوا أقداسي، ولم يميزوا بين المقدس والمدنس، ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر. . . فتدنست وسطهم، ورؤساؤها في وسطها كالذئاب المفترسة سافكين الدم، مهلكين النفوس لكي يكسبوا سحتا، وأنبياؤهم طينوا لهم رديء الملاط برؤياهم الباطلة، وعرافتهم لهم بالكذب، قائلين : هكذا قال السيد الرب، والرب لم يتكلم، جاروا جورا على شعوب الأرض واختلسوا وأعسفوا البائس، وجاروا على الغريب بغير حق»[1].

كما ينكر اليهود نبوة سيدنا إسماعيل عليه السلام، ليحصروا النبوة في سيدنا إسحاق، ومن بعده يعقوب «أو إسرائيل» جدهم الذي ينتسبون إليه. ولتسويغ موقفهم هذا نراهم يدعون بأن سيدنا إبراهيم خليل الرحمن هو الذي أعطى الحكم والنبوة من بعده لإسحاق ونسله، وأنه لم يعترف بإسماعيل ولا بنسله، لأن إسماعيل بزعمهم كان ابن أمة لا يمكن أن تعد زوجة لسيدنا إبراهيم. ويظهر هذا بوضوح في العبارات التالية : الواردَةَ في سفر التكوين حيث يقول المؤلف : «وأعطى إبراهيم كل ماله لإسحاق، ولبني السراري . . وهب إبراهيم هبات، وصرفهم عن ابنه في حياته. . . وبعد موت إبراهيم بارك الله إسحاق ابنه»[2].

ونلاحظ ان مؤلف السفر يدعى : أن الله سبحانه وتعالى أقر إبراهيم على ما فعله ـ حسب زعم مؤلف سفر التكوين ـ وسانده، وبارك إسحق.

ويسوق الكاتب كل هذه الافتراءات كي يدعم موقف اليهود من إنكار نبوة سيدنا إسماعيل، جد العرب وجد محمد ﷺ.

ويكرر مؤلف سفر التكوين نفس القصة مرة أخرى، حيث يدعي : أن هذه المأساة التي حدثت لإسماعيل قد حدثت أيضا لعيسوى، الأخ الأكبر ليعقوب، حيث يزعم أن سيدنا إسحق عليه السلام قد فضل ابنه يعقوب على عيسوى، وذلك بعدما تآمرت زوجته (والدة يعقوب) مع ابنه يعقوب على ذلك، وبناء على هذا التآمر والمكر والخداع ـ كما يزعم كاتب هذا السفر ـ تسلم سيدنا يعقوب الحكم والنبوة، وباركه الرب.

---

(١) سفر نبوءة حزقيال : ٢٢/٢٥ ـ ٢٩ من الكتاب المقدس ٢/٥٩٥

(٢) سفر التكوين : ٢٥/٧، ٨ من الكتاب المقدس ١/٤٤.

ولقد جاءت تفاصيل تلك المؤامرة كما سردها مؤلف سفر التكوين فيما يلي : «أخذت رفقة ـ زوجة إسحق ـ ثياب ابنها عيسوى ـ الذي كان غائبا في بعض شأنه وألبستها يعقوب، ودخل يعقوب في ثياب عيسوى على أبيه، وهو يقول له : أنا عيسوى بكرك، وأطلب أن تباركني، فجسه إسحق ـ بعد أن شاخ وكف بصره ـ وقال : الصوت صوت يعقوب، لكن اليدين هما يدا عيسوى. . . وبارك إسحق ابنه يعقوب قائلا له : . . لتستعبد لك شعوب، ويسجد لك بنو أمك»[1].

ثم يدعى مؤلف السفر : أن الله سبحانه وتعالى بارك أسلوب المكر والخداع والتعدي على حقوق الآخرين بغير وجه حق، فنراه يزعم أن الله تعالى قال ليعقوب : «اسكن في الأرض التي أقول لك، فأكون معك وأباركك، ونسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»[2].

يزعم مؤلف سفر التكوين أيضا : أن الله سبحانه وتعالى لم يعصم لوطا من أبشع أنواع الزنا، وهو الزنا بالمحارم حيث مكن الله ـ بزعم مؤلف السفر ـ ابنتي لوط من خداعه، فزنا بهما حتى حملتا منه، ولقد ورد في سفر التكوين عن هذا الموضوع ما يلي : «ولما دمر الله مدن البقعة. . صعد لوط من صوغر وأقام في الجبل هو وابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى : إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها، تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه، ونقيم من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها. . . فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى : هاأناذا قد ضاجعت أبي أمس، فلنسقه خمرا الليلة أيضا وتعالي أنت فضاجعيه. . فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة أيضا، وقامت الصغرى فضاجعته. . . فحملت ابنتا لوط من أبيهما، وولدت الكبرى ابنا وسمته موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، وولدت الصغرى أيضا ابنا وسمته بنعمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم»[3].

وعلى الرغم من زعم مؤلفي التوراة : أن سيدنا موسى هو الذي كتب[4]

---

(١) سفر التكوين : ١٥/٢٧ من الكتاب المقدس ٤٨/١، ٤٩

(٢) سفر التكوين : ١٤/٢٨، ١٥ من الكتاب المقدس ٥١/١

(٣) سفر التكوين : ٢٩/١٩ ـ ٣٥ من الكتاب المقدس، ٦٥٣/١، ٦٥٤

(٤) انظر سفر تثنية الاشتراع : ٩/٣١ من الكتاب المقدس، ٣٥١/١

التوراة بيده إلا أن التناقض الملموس في متن التوراة، وبخاصة في مسألة الإيمان بوحدانية الله وتنزيهه، هذا التناقض يوحي أن مؤلفها ليس نبيا، ولا مؤيدا بوحي السماء.

وعلى الرغم من أن بعض الأسفار تشير إلى أن موسى عليه السلام كان موحدا لله، ذاما لعبادة الأوثان، يشير بعضها الآخر إلى أن موسى كان يعبد الأصنام، ويدعو قومه إلى عبادتها، كما ورد ذلك في سفر الملوك، حيث زعم مؤلفه بأن أحد ملوك وأنبياء بني إسرائيل ـ ويدعى حزقيا بن آحاذ ـ قد حطم الأصنام التي كان يعبدها الإسرائيليون، ومن بينها حيّة النحاس، التي زعم مؤلف السفر أن سيدنا موسى عليه السلام كان قد نصبها لتعبد. ولقد جاء في سفر الملوك حول هذا الموضوع ما يلي: «وفي السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل، ملك حزقيا بن آحاذ، ملك يهوذا، ـ وكان ابن خمس وعشرين سنة ـ وصنع القويم في عيني الرب.. أزال المرتفعات، وحطم الأنصاب وقطع الغابات، وسحق حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها»[1].

ولم ينج سيدنا هارون عليه السلام أيضا من افتراءات مؤلف سفر الخروج، حيث زعم أن هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، وهو الذي دعاهم إلى عبادته، وذلك عند غياب سيدنا موسى عليه السلام لإحضار الألواح، ولقد جاء في سفر الخروج ما يلي: «ورأى الشعب: أن موسى قد أبطأ في النزول من الجبل. فاجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة... فإن الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا شنوف الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم ائتوني بها، فنزع جميع الشعب شنوف الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها هارون، فأخذها هارون من أيديهم وصورها في قالب وصنعها عجلا مسبوكا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر، فلما رأى هارون ذلك، بني أمامه مذبحا ونادى... غدا عيد للرب، فبكروا في الغد... وقربوا ذبائح، وجلس الشعب يأكلون ويشربون، ثم قاموا يلعبون»[2].

---

(١) سفر الملوك الرابع: ١٨/١ ـ ٨ من الكتاب المقدس ١/٦٥٣، ٦٥٤

(٢) سفر الخروج: ٣٢/١ ـ ٨ من الكتاب المقدس ١/٢٦٤

وتجرأ مؤلف سفر العدد، وزعم أن موسى وهارون لم يؤمنا بالله إيمانا كاملا، ولم يقدسا الله ولاصدقاه، وهما من أنبياء الله الذين كرمهم بوحيه ورسالته، فقد جاء في سفر العدد ما يلي : «فقال الرب لموسى وهارون : إنكما لم تؤمنا بي، ولم تقدساني على عيون بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان أنتما هؤلاء الجماعة الأرض التي أعطيتها لهم»[1].

وقد ألصق مؤلف سفر الملوك بسيدنا داود جرائم الزنا، والخيانة، والغدر لدرجة أنه كان يرسل المحاربين ليخوضوا المعارك في سبيل الله، ثم يزني بزوجاتهم من ورائهم.

ففي قصص الأنبياء والملوك الواردة في سفر الملوك نجد قصة داود عليه السلام، وفيها : «عند المساء قام داود من سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جدا، فأرسل إليها ودخل بها . . . ورجعت إلى بيتها، ثم حملت المرأة فأرسلت إلى داود وأخبرته بذلك . . فأرسل داود إلى يواب[2] فأخبره بأنها زوجة أوريا . . . فأرسل داود إلى يواب، أن أرسل إليّ أوريا . . . فأرسل يواب أوريا إلى داود، ثم أمره داود أن يترك القتال فترة ويقيم مع زوجته، فرفض أوريا أن يسكن حتى تضع الحرب أوزارها، ثم كتب داود إلى يواب كتابا مع أوريا وفيه : «وجه أوريا حيث يكون القتال شديدا ليضرب ويموت . . فوضع يواب أوريا في الموضع الذي علم فيه رجال البأس . . فقتل أوريا . . . وسمعت امرأة أوريا أن أوريا زوجها قد مات، فناحت على بعلها، ولما تمت أيام مناحتها أرسل إليها داود وضمها إلى بيته فكانت زوجة له، وولدت له ابنا، وساء ما صنع داود في عيني الرب»[3].

ويزعم مؤلف سفر الملوك الثالث : أن سيدنا سليمان كان شديد الميل إلى النساء، كثير الفتنة بهن، حتى أنسينه الخالق الذي اصطفاه وأرسله إلى خلقه، فمال معهن كل الميل، حتى عبد الأوثان من أجلهن. ويقول مؤلف السفر : «وأحب الملك سليمان نساء غريبات . . . مع ابنة فرعون . . من الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل : لا تختلطوا بهم . . فإنهم يميلون بقلوبكم إلى اتباع آلهتهم، فتعلق بهن

---

(١) سفر العدد : ١٢/٢٠ من الكتاب المقدس ٢٦٤/١.

(٢) هو قائد الكتيبة التي كان بها أوريا، انظر التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ٤٨/١.

(٣) سفر الملوك الثاني : ٢/١١ ـ ٢٧ من الكتاب المقدس ٣٥٤/١، ٣٥٩.

سليمان حباً لهن، وكان له سبعمائة زوجة، وثلاث مائة سرية، فأزاغت نساؤه قلبه، وحتى في زمن شيخوخة سليمان نجد أن أزواجه ملن بقلبه إلى اتباع آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصا للرب، وتبع سليمان عشتاروت آلهة الصيدونيين. . وصنع سليمان الشر في عيني الرب. . . بنى سليمان مشرفا لإلهة الوثنين في الجبل الذي تجاه أورشليم. . . وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان، حيث مال قلبه عن الرب إله اسرائيل، الذي تجلى له مرتين، وأمره في ذلك أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أمره الرب به»[1].

٤ ـ مظاهر التوحيد وتنزيه الرسل في الإسلام

أولا : التوحيد في الإسلام :

يعتقد المسلمون أن أصل الديانات السماوية ومصدرها واحد، وهي في حقيقتها صادرة عن الله سبحانه وتعالى. ويعتقد المسلمون أيضا : أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي أنه هو الله الواحد، فشهدوا على ذلك، قال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ »[2].

قال ابن كثير في شرحه : «يخبر الله تعالى : أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم : أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، وجبلهم عليه، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ .[3] وفي الصحيحين «كل مولود يولد على الفطرة»[4].

---

(١) سفر الملوك الثالث : ١/١١ ـ ١٠ من الكتاب المقدس ٥٩١/١.

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢، ١٧٣.

(٣) سورة الروم : ٣٠

(٤) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها كتاب الجنائز ٣, ٤٦٤، ٤٦٥ ،وكتاب التفسير ١٠/ ١٣٠، وكتاب القدر ١٤/ ٢٩٥ (من صحيح البخاري بشرح فتح الباري) وأخرجه مسلم في كتاب القدر ١٦/ ٣٠٧ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

ولقد ورد في القرآن الكريم : أن أهل الكتاب ـ من يهود ونصارى ـ قد غلفوا عقائدهم بغلاف الوثنية، وبالتالي جعلوا لله أندادا ونسبوا له الولد. قال تعالى : «وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾»[1].

أما المسلمون فقد أخذوا التوحيد عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهم يوحدون الله سبحانه تعالى توحيدا خالصا نقيا، لا يعرف المواربة أو التشكيك، ولتأكيد ذلك سوف نورد هنا بعض أقوال السلف الصالح، المستقاة من الكتاب والسنة، وذلك تمهيدا لمقارنتها فيما بعد بعقيدة التوحيد المزعومة عند اليهود كما يراها أحبارهم وعامتهم.

قال صاحب كتاب جوهرة التوحيد : «إن التوحيد الشرعي هو إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا، فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه، ولا تشبه ذاته الذوات، ولا تشبه صفاته الصفات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك.

وقيل : التوحيد هو إثبات ذات غير مشبهة بالذوات، ولا معطلة عن الصفات، وتخصيص الإرسال ـ أي إرسال الرسل ـ بالتوحيد، لأنه أشرف العبادات، وأفضل الطاعات، وشرط في صحتها، وسبب النجاة من العذاب المخلد. . والمراد بالوحدانية هي وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما، بأنه لو وجد فردان متصفان بصفات الإلوهية لأمكن بينهما تمانع، بأن يريد أحدهما حركة زيد، والآخر سكونه، لأن كلا منهما في نفسه أمر ممكن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما، إذ لاتضاد بين الإرادتين، بل بين المرادين، وحينئذ إما أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان، أولا، فيلزم عجز أحدهما، وهو أمارة الحدوث، لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحال، فيكون محالا وهذا يقال له : برهان التمانع وإليه الإشارة بقوله تعالى «لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا»[2]

---

(١) سورة التوبة : ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الانبياء : ٢٢.

والله تعالى منزه عن أي مضاد له أو لصفاته. . والغرض أنه واجب الوجود قديم، فلا مشابه له تعالى في ذاته، أو في صفاته بوجه أو حال، لوجوب مخالفته تعالى للممكنات ذاتا وصفات. . فلا تكثر في ذاته ولا نظير له في صفاته، ولا اختراع لغيره في أفعاله، وهو منزه عن الوالد والولد والأصدقاء»[٢].

ويشرح شيخ الإسلام ابن تيمية عبارة (لا إله إلا الله) التي جاءت في القرآن والسنة بقوله: «لا إله إلا الله: هي كلمة التوحيد، التي اتفقت عليها كلمة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - بل هي خلاصة دعواتهم، وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه، كما قال نبينا ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل)[٢]. ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد، كقولنا: الله واحد مثلا، فهي تدل بصدرها على نفي الإلهية عمن سوى الله تعالى، وتدل بعجزها على إثبات الإلهية له وحدة، ولا بد فيها من إضمار خبر، تقديره: لا معبود بحق موجود إلا الله «أما قوله لا شريك له، فهو تأكيد لما دلت عليه كلمة التوحيد»[٣].

إن الذات الإلهية حسب ما جاء في الإسلام لا تنقسم ولا تتجزأ، فلقد قال سبحانه وتعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٤].ولكي نزيد الأمر وضوحا نلجأ إلى المفسرين لنستلهم منهم المعنى المراد. قال الآلوسي: «وفرق بعضهم بينهما - أي بين كلمة أحد وواحد - بأن الأحد في النفي نص في العموم، بخلاف الواحد، فإنه محتمل للعموم وغيره، فيقال: ما في الدار أحد. ولا يقال بل اثنان، ويجوز أن يقال: ما في الدار واحد بل اثنان، ونقل عن بعض الحنفية أنه قال في التفرقة بينهما: إن الأحدية لا تحتمل الجزئية والعددية بحال، والوحدانية تحتملها، لأنه يقال: مائة واحد، ولا يقال مائة

---

(٢) جوهرة التوحيد: ٨٢ - ٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ١/ ٧٥ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) شرح العقيدة الواسطية: ١٠.

(٤) سورة الإخلاص.

أحد. . . وفرق الخطابي : بأن الأحدية لتفرد الذات، والوحدانية لنفي المشاركة في الصفات. . . ولما لم ينفك في شأن الله تعالى أحد الأمرين من الآخر، قيل الواحد الأحد، في حكم اسم واحد. . وفسر بما لا يتجزأ ولا ينقسم. . والمراد هنا حيث أطلق المتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها، ولا أكمل، فهو ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، خارجا وذهنا، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز، والمشاركة في الحقيقة وخواصها، كوجوب الوجود، والقدرة الذاتية، والحكمة التامة المقتضية للإلوهية»[1].

مما سبق تستنتج : أن التوحيد في الإسلام هو توحيد الله سبحانه وتعالى، والإقرار له بالإلوهية والربوبية المطلقة.

فالله سبحانه وتعالى كما جاء في الكتاب والسنة : هو الإله الحق، الذي شهد بوجوده وربوبيته ووحدانيته كل موجود.

وأنه سبحانه وتعالى الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء. وأن صفاته كلها كما هي أبدية، فهي كذلك أزلية، وليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انتهاء تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ثانيا : تنزيه أنبياء الله في الإسلام :

يعتقد المسلمون حسب النصوص الموجودة عندهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن الله تعالى أرسل إلى الناس منذ آدم وإلى مجيء خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ، أرسل إليهم رسلا وأنبياء مبشرين ومنذرين، وأوحى إليهم : أنه لا إله إلا الله. قال تعالى : « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ »[2].

ولقد بين الله سبحانه وتعالى قصص هؤلاء الأنبياء، وأحوالهم مع أقوامهم في القرآن الكريم كما بينت السنة النبوية الشريفة ذلك أيضا. ولقد بين القرآن الكريم أن أولئك الرسل والأنبياء كانوا يدعون أقوامهم إلى عبادة الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) روح المعاني ٢٧٢/٣٠.
(٢) سورة الأنبياء : آية : ٢٥.

وقد أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم الميثاق لئن جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

ولقد حث القرآن الكريم الناس على الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين كما ورد ذكرهم في القرآن في كثير من السور، من ذلك : ما جاء في سورة البقرة : (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ).[2]

يقول الآلوسي في تفسيره للآية : (المراد بهذا الإيمان : إيمان خال عن شائبة الإشراك، لا كأيمان اليهود والنصارى، القائلين عُزير ابن الله، والمسيح ابن الله.. واليوم الآخر : أي الميعاد.. والملائكة : أي آمن بهم وصدق أنهم عباد مكرمون، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ومنهم المتوسطون بينه تعالى، وبين أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، بإلقاء الوحي، وإنزال الكتب. والكتاب : أي جنسه، فيشمل جميع الكتب الإلهية، لأن البر الإيمان بجميعها كما ورد في الحديث[3] : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، أو القرآن، لأنه المقصود بالدعوة، والكامل الذي يستاهل أن يسمى الكتاب، والإيمان بجميع الكتب، لكونه مصدقا لما بين يديه... والإيمان بالكتب : أن يؤمن أنها كلام الرب ـ جل شأنه ـ منزهة عن الحدوث، منزلة على ذويها، ظاهرة لديهم حسبما اقتضته الحكمة من اللغات والنبيين : أي جميعهم من غير تفرقة بين أحد منهم.. والإيمان بهم أن يصدق بأنهم معصومون، مطهرون، وأنهم أشرف الناس حسبا ونسبا، وأن ليس فيهم وصمة ولا عيب منفر، ويعتقد : أن سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، والتمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامة»[4].

---

(١) سورة آل عمران : آية : ٨١.

(٢) سورة البقرة : آية : ١٧٧.

(٣) الحديث مخرج في كتب السنة الصحيحة من ذلك أن البخاري أخرجه في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١٤/١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٤) روح المعاني، ٢/٤٥، ٤٦.

ولقد شهد الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ وللمؤمنين : بأنهم آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم في قوله تعالى : « ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ »[1].

يقول الآلوسي عن حقيقة هذا الإيمان : «آمن بالله : أي صدق به وبصفاته، ونفي التشبيه عنه، وتنزيهه عما لا يليق بكبريائه، من نحو الشريك في الإلوهية، والربوبية وغير ذلك. وملائكته : أي من حيث أنهم معصومون مطهرون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، من شأنهم التوسط بين الله تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي، وبهذا ذكروا في النظم قبل قوله تعالى : «وكتبه ورسله» أي من حيث مجيئهما منه تعالى على وجه يليق بشأن كل منهما، ويلزم الإيمان التفصيلي فيما علم تفصيلا من كل ذلك، والإجمالي فيما علم إجمالا . . . لا نفرق بين رسل الله تعالى - نؤمن ببعض ونكفر ببعض - كما فعل أهل الكتابين، بل نؤمن بهم جميعا، ونصدق بصحة رسالة كل واحد منهم»[2].

يتضح لنا مما سبق : أن المسلمين مطالبون بالإيمان برسل الله وأنبيائه الكرام الذين ذكروا في القرآن الكريم، أما من لم يذكروا في القرآن الكريم فعلمهم عند الله تعالى، قال تعالى « وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا »[3].

ويتضح لنا كذلك : أن جميع هؤلاء الرسل والأنبياء من البشر الذكور، ولقد فضلهم الله على الناس أجمعين، كما فضل بعضهم على بعض، وجعل منهم صفوة الأنبياء، وهم ألو العزم من الرسل ؛ كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولو نظرنا إلى أنبياء الله ورسله من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٨٥.

(٢) روح المعاني ٣/٦٨.

(٣) سورة النساء : آية : ١٦٤، ١٦٥.

نجد أنهم كانوا صفوة الخلق، وأحاسن الناس أخلاقا، ومن أمثلة ذلك قول الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم الخليل : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ »[1]. وقوله تعالى : «وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ »[2]. وقوله تعالى : « إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ »[3]

وقال تعالى عن إسماعيل : « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا »[4] وقال تعالى في شأن اسحاق ويعقوب « وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا »[5] وقال تعالى عن موسى : إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى »[6] وقال تعالى عنه وعن هارون : « وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ووَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا »[7]. وقال تعالى عن لوط عليه السلام : «وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا »[8]. وقال أيضا : « وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ »[9] ولقد وصف الله سبحانه وتعالى لوطا بالصلاح والتقوى في قوله : « ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ »[10].

ولنأخذ من السنة النبوية الشريفة الصحيحة أيضا بعض الأمثلة التي تبين مكانة هؤلاء الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الانبياء : آية : ٥١

(٢) سورة الانعام : آية : ٨٣.

(٣) سورة النحل : آية : ١٢٠، ١٢٣.

(٤) سورة مريم : آية : ٥٤

(٥) سورة مريم : آية : ٤٩.

(٦) سورة الأعراف : آية : ١٤٤.

(٧) سورة مريم آية : ٥١ ـ ٥٣.

(٨) سورة الأنبياء : آية : ٧٤

(٩) سورة الصافات آية : ١٣٣.

(١٠) سورة التحريم : آية : ١٠.

جاء في الحديث الصحيح ، الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده ، من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : «لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية سمعتها عن النبي ﷺ؟ فقلت بلى ، فأهداها لي ، فقال : سألنا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم . قال : قولوا ، اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى . قال : أولم تؤمن قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . ويرحم الله لوطا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد . ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»(٢) .

ولقد وضَّح العيني في شرحه للحديث : أن النبي ﷺ ينفي الشك عن سيدنا إبراهيم ، حيث قال : «أراد النبي ﷺ أن يبين لهم أن هذا الذي يظنونه شكا ليس بشك ، ولكنه مطلب لمزيد من اليقين« . ثم نقل شرح الزمخشري للآية وهو : آوي إلى ركن شديد» أي إلى قوي أستند إليه ، وامتنع به ، فيحميني منكم ، فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته» .

وأما قوله لأجبت الداعي معناه : «لأسرعت إلى الخروج من السجن ، ولما قدمت العذر»(٣) .

ولقد وصف رسول ﷺ وسلم سيدنا موسى عليه السلام بالصبر وحسن الخلق ، وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده ، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : «قسم النبي ﷺ قسما فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبي فاخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ، ثم قال : يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر»(٤) .

أخرج البخارى أيضا ، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : «استب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٦/٤٠٨ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٦/٤١١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري) .
(٣) عمدة القارىء ١٥/٢٦٧ .
(٤) اخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ١٥/٢٦٤ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة الفاري) .

رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين، في قسم يقسم به، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال : لا تخيِّروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو ممن استثني الله»[1].

ولقد وضحت لنا السنة النبوية الشريفة : أن داود ـ عليه السلام ـ كان عابدا يخرج مع جنوده لملاقاة العدو، ولا يفر إذا اشتد البأس. يدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخارى بسنده، من حديث عبدالله بن عمرو، بن العاص، قال : «قال رسول الله ﷺ : ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ فقلت : نعم. فقال : فإنك إذا فعلت ذلك هجمت[2] العين، ونفهت[3] النفس، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر. قلت : إني أجد بي ـ قال مسعر : يعني قوة ـ قال : فصم صوم داود عليه السلام، كان يصوم يوما ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»[4].

قال ﷺ أيضا في شأن داود : (أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه)[5].

ولقد بينت لنا السنة النبوية الشريفة كذلك : أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعوة سيدنا سليمان، وأعطاه ملكا لم يعطه لأحد من بعده. فقد أخرج الإمام البخاري بسنده، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : «إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته،

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده ١٥ / ٣٠ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري).

(٢) هجمت : اي غارت قال الاصمعي : هجمت ما في الضرع اذا حلبت كل ما فيه عمدة القاريء ١٦/٨.

(٣) نفهت بفتح النون وكسر الفاء : أي ضعفت (عمدة القاريء ١٦/٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب وآتينا داود زبورا ٤٥٣/٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، واحب الصيام الى الله صيام داود، ٤٥٥/٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح البارى).

فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان (رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) فرددته خاسئا»[1].

إن هذه الأمثلة وغيرها كثير: توضح لنا منزلة الأنبياء عليهم السلام، كما وضحها القرآن الكريم، وكما وضحتها السنة النبوية الشريفة، وتبين مقامهم الرفيع في الإسلام، ووصفهم بأفضل الصفات، وأكرم الاخلاق.

٥ ـ الرد على طعون المستشرقين حول أحاديث التوحيد :

لقد رأينا فيما سبق : أن المستشرق غيوم قد نقل حديثا منسوبا لرسول الله ﷺ من كتاب (الأصنام) لمؤلفه ابن الكلبي، واستدل بهذا الحديث على شيئين :
أولهما : أن النبي ﷺ كان يعبد الأوثان، ويقدم لها القرابين.
ثانيهما : أن النبي ﷺ قد ترك عبادة الأصنام بعد أن بين له بعض من تأثر باليهودية من العرب شيئا عن عقيدة التوحيد.

لكن الحديث الذي أورده بن الكلبي في مؤلفه (الأصنام) والذي اعتمد عليه غيوم لتدعيم افتراءاته، حديث لا أصل له ولا سند، كما أنه مروي بصيغة ضعيفة لا يعتد بها علماء المصطلح. وبجانب ذلك فإنه حديث منكر، متعارض مع الروايات المعروفة حول هذا الموضوع، والتي رواها الثقات، مما يجعل رواية ابن الكلبي رواية واهية. ولقد ورد في كتب السنة المعتبرة : أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد قبل مبعثه، ومن أمثلة ذلك : الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري ـ في حديث طويل ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : «أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد[2] ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه او اب) ٦/٤٥٧، ٤٥٨ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/٢٢ (من صحيح بالبخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) «وهو التعبد» مدرج من كلام الزهري، وهو تابعي أفادة ابن حجر (فتح الباري ١/٢٣).

ومما لا شك فيه : أن المصادر[1] التاريخية المعتبرة لدى المسلمين وكتب[2] السيرة قد أجمعت أنه ﷺ لم يقرب عبادة الأصنام، ولم يتقرب إليها بأي قربان.

أما ابن الكلبي الذي اعتمد عليه غيوم في إثبات افتراءاته واتهامه للنبي ﷺ بالتقرب إلى الأصنام، فهو رافضي، مجروح من أئمة الجرح والتعديل الموثوق بهم لدى المسلمين. من ذلك ما جاء عن سيرته في معجم الأدباء، حيث يقول صاحب المعجم : «ابن الكلبي مشهور بالرفض وبالغلو في التشيع»[3].

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل : «كان صاحب سير ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه» [4]. وقال ابن العماد الحنبلي : »هشام بن محمد، بن السائب، الكلبي، الأخباري، النسابة، صاحب كتاب الجمهرة في النسب، ومصنفاته تزيد على مائة وخمسين تصنيفا، في التاريخ والأخبار، وكان حافظا علامة، إلا انه متروك الحديث، فيه رفض»[5].

وقد رفض المحدثون وأئمة المسلمين أحاديث الرافضة، نسوق هنا ما قاله بعضهم.

قال أشهب : سئل مالك عن الرافضة؟ فقال : «لا تكلموهم ولا ترووا عنهم»[6].

قال الشافعي : «لم أر أشهد بالزور من الرافضة«[7]. وقال يزيد بن هارون : «يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية، إلا الرافضة».[8].

أما زيد بن عمرو بن نفيل فقد كان فعلا ـ كما حكى المؤرخون[9]ـ من الحنفاء الذين تجنبوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ولقد قال شعرا في نبذ الأصنام، وحث الناس على تركها، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل الميتة، لكن زيد بن عمرو كان قد نفر من الديانتين اليهودية والنصرانية ـ أيضا ـ حين عرضتا عليه، حيث لم ير

---

(١) انظر البداية والنهاية ٣/٥، الكامل في التاريخ : ٣٨، ٣٩.

(٢) سيرة بن اسحاق : ٥٧ ـ ٥٩، سيرة ابن هشام : ٧٠ ـ ٧٤ السيرة النبوية ٢ ـ ١٧/٢٠

(٣)، (٤) معجم الأدباء ١٩/٢٨٧، ٢٨٨.

(٥) شذرات الذهب ٢/١٣، أنظر أيضا، العبر في خبر من غبر ١/٣٤٦ ـ ٢٤٧، أيضا الفهرست : ١٨٩ ـ ١٩٤.

(٦)، (٧)، (٨) تدريب الراوي ١/٢٢٦، ٢٢٧.

(٩) تدريب الراوي ١/٢٢٧.

فرقا بينهما وبين الأديان الوثنية، وفي هذا الشأن جاء في أسد الغابة ما يلي : «خرج زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية يطلب الدين وورقة بن نوفل ، فلقيا اليهود، فعرضت عليهما يهود دينهم فتهود ورقة، ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهم دينهم، فترك ورقة اليهودية وتنصر، وأبى زيد بن عمرو بن نفيل أن يأتي شيئا من ذلك. وقال : ما هو إلا كدين قومنا، تشركون ويشركون، ولكنكم عندكم من الله ذكر، ولا ذكر عندهم، فقال له راهب : إنك لتطلب دينا ما هو على الأرض اليوم، فقال : وما هو؟ قال : دين إبراهيم. . . كان يعبد الله ولا يشرك به شيئا»[1].

إن هذا يبطل أيضا زعم غيوم : أن الديانة اليهودية كانت معتبرة لدى عرب الجاهلية، ومما يقوى هذا الرأي : أن معظم عرب الجاهلية كانوا قد فضلوا عبادة الأوثان على اليهودية، على الرغم من أنهم دخلوا في الدين الإسلامي أفواجا، بعد أن عارضوه وقاوموه في باديء الأمر.

أما محاولة غيوم أن يربط شعائر الحج بالعبادات الوثنية والشرك في محاولة سخيفة لا تمت للحق بصلة، إذ أن عرب الجاهلية كانوا يجلون الكعبة الشريفة، والحجر الأسود، وبئر زمزم، لأنها ارتبطت بآثار دينية تمتد جذورها إلى سيدنا إبراهيم الخليل، كما هو معروف لدى المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب أيضا. كما وأن بعض هذه الآثار الدينية موجود[2] بأسفار التوراة لدى اليهود إلى اليوم، وعلى الرغم من ذلك نرى أن غيوم يحاول ربط هذه الشعائر بالوثنية، ولا يتطرق إلى ذكر صلتها بالديانة اليهودية كما فعل مع أحاديث التوحيد.

أما تقبيل الحجر الأسود والطواف بالبيت والسعي، فهي شعائر إسلامية، أُمر المسلمون بأدائها كما أداها رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان[3]؛ لأن مناط التشريع في الإسلام هو الامتثال والاتباع، هذا مع ملاحظة أنه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا في الآثار الإسلامية ما يشير إلى أن الآلهة تسكن بالبيت العتيق، أو الحجر الأسود، كما أن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع، وأن تقبيله واجب ديني، وتأدية لعبادة مفروضة. ولقد أخرج الإمام البخاري بسنده، من حديث عمر رضي الله

---

(١) تاريخ العرب في الجاهلية : ٤٨٨، ٤٨٩.

(٢) الاستيعاب : ٦١٦/٢، أسد الغابة ٢٩٥/٢، الإصابة ٥٢٢/١.

(٣) انظر الفصل السادس عشر من سفر التكوين من الكتاب المقدس ٢٩/١، ٣٠.

عنه : «أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال : إني أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[1].

ولقد نقل ابن حجر آراء العلماء في هذا الحديث.

منها قول الطبري «إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية تعتقد في الأوثان»[2].

ومنها قول المهلب : «إنما شرع تقبيله اختبارا، ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم»[3].

ولقد علق ابن حجر على الحديث بقوله : «وفي قول عمر هذا : التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن للحجر الأسود خصوصية ترجع إلى ذاته، وفيه بيان السنن بالقول والفعل، وأن الإمام إذا خشى على أحد من فعله فساد اعتقاد أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك»[4].

وقال النووي : «أما قول عمر رضي الله عنه.. فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله، وإنما قال : وإنك لا تضر ولا تنفع، لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام، كالذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها، ورجاء نفعها، وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريبا بذلك، فخاف عمر رضي الله عنه أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه، فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب.

فمعناه أنه لا قدرة له على نفع أو ضرر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع، وأشاع عمر هذا في الموسم ليشهد في البلدان، ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفو الاوطان[5].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ٤٦٢/٣ من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري.

(2) (3) فتح الباري : ٤٦٢/٣، ٤٦٣.

(4) فتح الباري ٤٦٣/٢

(5) صحيح مسلم شرح النووي : ١٦/٩، ١٧.

ومما يدلنا على أن غيوم يفتقر إلى الجدية والنزاهة في النقل وتوثيق المعلومات : زعمه أنه قد عثر على مخطوط لم ينشر بعد لسيرة ابن اسحاق، اعتمد عليه في نقل افتراءاته عن النبي ﷺ، ولكنه لم يشر إلى مكان وجود هذا المخطوط على وجه التحديد، كما زعم أن معظمه كان قد فقد.

وإذا سلمنا بصحة وجود مثل هذا المخطوط فإننا لا نأمن أن تكون قد امتدت إليه يد التشويه والتحريف، بواسطة غيوم وأمثاله من الكفرة الحاقدين على الإسلام.

وعلى فرض صحة وجود هذا المخطوط وصحة نسبته لابن إسحاق، فإن مقتضيات البحث العلمي الجاد تحتم على الباحث عدم التسرع وإصدار الأحكام القاطعة دون فحص الروايات الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع، أو على الأقل دون أن يعثر على روايات أخرى تقوي هذه الرواية وتدعمها.

وعليه : فإن هذا الحديث الذي ساقه عن ابن اسحاق يعتبر أيضا كسابقه مردودا حسب مقاييس علماء المصطلح، بل إن الرواية ليس لها إسناد قائم، وعليه فلا يعتبر مثل هذا الكلام حديثا أصلا، ولا تحل رواية مثله إلا لبيان وضعه، وتحذير المسلمين من شره.

ولقد ادعى غيوم في مقدمة مؤلفه المسمى (الإسلام) : أنه سوف يبحث الإسلام بحثا علميا دقيقا بعيدا عن التعصب والهوى، إلا أنه لم يف بوعده. ولقد سار أيضا على هذا النهج المتعصب في مؤلفه الآخر المسمى (الحديث في الإسلام) واستشهد ببعض الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في شأن التوحيد وتنزيه الله، زاعما أنها مأخوذة عن أسفار التوراة.

لكن باستعراض بعض الأسفار المتضمنة في التوراة تبين لنا : أن هناك اضطرابا، وتخليطا، وارتباكا ما بعده ارتباك، حول موضوع وحدانية الله سبحانه وتعالى، بل هناك دعوة صريحة للشرك وعبادة الأصنام، والسجود لها، وقد سقنا أمثلة كثيرة من توراة اليهود في هذا الشأن. وهذا بالطبع يتنافى مع كلمة التوحيد التي ظل المسلمون يؤكدونها منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا وهي (لا إله إلا الله).

بل إن تناقض نصوص التوراة في شأن التوحيد ـ كما رأينا ذلك منذ قليل ـ يدل دلالة واضحة أن اليهود لم يلتزموا كلمة التوحيد، ولم يكونوا أهلا لتحملها، حتى

يعجب بهم غيرهم، ويقتدوا بهم في ذلك، كما ادعى غيوم وغيره. بل إن فعل اليهود الذي حكاه عنهم سفر أشعياء يتنافى مع إفراد الله بالعبادة، كما جاء في الحديث الشريف الذي استشهد به غيوم، وهذا نصه: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا).

كما أن سفر أشعياء يبين أن اليهود صنعوا آلهة وعبدوها، ولم يفردوا الله بالعبادة، ولم يلتزموا بما جاء في سفر التثنية: (وإياه تعبدون). فكيف يقتدي بهم رسول الإسلام ﷺ في هذا الكفر، كما ادعى غيوم؟!

ولقد ساق المستشرق ستوبرت أيضا حججا واهية ليدلل بها على قصة الأخذ عن اليهود، زاعما أن النبي ﷺ لم يكن أميا، وأنه ﷺ كتب صلح الحديبية بنفسه، وذلك كي يبرهن أن النبي ﷺ قد قرأ توراة اليهود، وتأثر بها، ونقل عن اليهود عقيدة التوحيد.

ولعل القارىء يلاحظ أن هذا الزعم مبني على مجرد الظن والتخمين، وذلك مما يتعارض مع أبسط قواعد البحث العلمي الجاد، ومما يدحض افتراءات ستوبرت في هذا الشأن: أن كتب السنة الصحيحة المعتبرة لدى المسلمين تشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي قام بكتابة الصلح، ويظهر ذلك من الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم: أن النبي ﷺ أمر عليا أن يمحو كلمة رسول الله عندما أنكرها المشركون، وقالوا له: لو كنا نعلم أنك رسول لم نقاتلك.

والقصة أخرجها مسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه كالآتي: «كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ، وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول لم نقاتلك، قال النبي ﷺ لعلي: امحه. فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده»[1].

وفي بعض طرق الحديث عند مسلم أيضا: «فأمر - أي رسول الله ﷺ - عليا أن يمحاه، فقال علي: لا والله لا أمحاه، فقال رسول الله ﷺ: أرني مكانها، فأراه مكانها، فمحاه وكتب - أي علي - ابن عبدالله»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية: ١٢/١٣٥ (صحيح مسلم بشرح النووي).
(٢) أخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين ١٢/١٣٥ (المرجع السابق).

ولقد ورد في القرآن الكريم، أن النبي ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[1].

ولقد بينت السنة الشريفة وتواتر عند المسلمين: أن النبي ﷺ كان أميا، ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري، - في حديث طويل - من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه».. جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك وقال: اقرأ قال: ما أنا بقاريء - قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقاريء...)[2]

جاء في شرح ابن حجر لقوله ﷺ: «ما أنا بقارىء» الآتي: «ما نافية، إذا لو كانت استفهامية لم يصح دخول الباء، وإن حكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ، والباء زائدة لتأكيد النفي، أي ما أحسن القراءة.. ولقد نقل ابن حجر قول الطيبى: إن ما أنا بقاريء يفيد التقوية والتأكيد. والتقدير: لست بقارىء البتة»[3]

أما موضوع تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فمعروف لدى المسلمين بأن ذلك كان بأمر من الله سبحانه وتعالى، كما جاء في سورة البقرة: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »[4].

ولقد وردت القصة، أيضا في السنة الصحيحة، ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث البراء: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه ﷺ صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل

---

(١) سورة الأعراف) ١٥٧.

(٢) اخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢٢/١ (من صحيح يشرحه فتح الباري).

(٣) فتح الباري: ٢٤/١.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٤٤.

البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول ﷺ قبل مكة، فداروا ـ كما هم ـ قبل البيت. وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك»[1].

ومما يبطل زعم ستوبرت : أن النبي ﷺ كان قد يئس من انضمام اليهود إليه ولذلك غير القبلة : أنه ﷺ كان يدعو اليهود كغيرهم من الكفار والضالين حتى بعد تحويل القبلة، فإن تحويل القبلة كان بعد هجرة الرسول الله ببضعة عشر شهرا كما هو واضح من الحديث، وكما أفادنا بذلك ابن كثير في تفسيره، أما استمرار دعوته ﷺ لليهود حتى بعد تحويل القبلة إلى البيت الحرام، فتوضحه الأحاديث النبوية الكثيرة : ومنها الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال : انطلقوا إلى يهود، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال : أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد ان أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»[2].

وهذه القصة تدل على أنه ﷺ ظل يدعوهم إلى الإسلام حتى قبل أن يجليهم من المدينة بعد فتح خيبر.

أما زعم جويتين بأنه ﷺ قد نقل التوحيد عن اليهود : فيبطله ما رأيناه سابقا من أن النبي ﷺ كان يأمر صحابته بعدم تصديق أهل الكتاب، وعدم الأخذ عنهم. من ذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا اهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا : «آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان : ١/ ٩٥ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ٦/ ٢٧٠ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء ١٣/ ٣٣٣ (من صحيح البخاري يشرحه فتح الباري).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم: أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب. وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل اليكم»[1].

ولقد رأينا كيف زعم مؤلف سفر التكوين: أن سيدنا لوطا عليه السلام كان قد زنى بابنتيه، وأن سيدنا موسى نحت لبني إسرائيل تماثيل ليعبدوها، وأن سيدنا هارون هو الذي قام بصناعة العجل، فعبده بنو إسرائيل عندما ذهب موسى لإحضار الألواح. ولقد نسب مؤلف سفر الملوك لسيدنا داود جرائم عديدة: كالزنا والخيانة والغدر، وزعم مؤلف سفر الملوك الثالث: أن سيدنا سليمان عبد الأوثان مع المشركين.

ولقد ظهر لنا في سياق هذا البحث، الفرق الواضح الكبير بين محتويات هذه الأسفار، وبين الأحاديث النبوية الشريفة التي أعلى فيها الإسلام مكانة أنبياء الله، ونزههم عن التهم التي ألصقها بهم اليهود، بما يبطل زعم جويتين: أن الأحبار والرهبان هم الذين أملوا على رسول الله ﷺ قصص الأنبياء السابقين.

أما زعم جويتين: أن محمداً ﷺ كان قد أغفل ذكر بعض أنبياء بني إسرائيل من ذوي الشأن فإنه مبني على اعتقاد جويتين بأن محمداً ﷺ هو الذي ألف القرآن. ولكن القرآن كما هو معروف كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ليس من تأليف سيدنا محمد ﷺ، كما يدعي جويتين. ولقد قال تعالى في كتابه العزيز في شأن رسل الله الذين لم يرد ذكرهم في القرآن ما يلي.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين ١٣/٣٣٤ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) سورة النساء: آية: ١٦٤.

(٣) سورة غافر: آية: ٧٨.

إن الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في شأن التوحيد، والتي طعن فيها جويتين وصاحباة ستوبرت وغيوم، قد وردت في كتب السنة الصحيحة، بل وفي أصح كتابين وهما صحيحا البخاري ومسلم، وقد تلقت الأمة الإسلامية هذين الكتابين بالقبول التام. لأن صاحبيهما من أوثق المحدثين، ولأن الأحاديث الواردة فيهما متصلة السند إلى رسول الله ﷺ، وقد جمعت جميع شروط الصحة التي اشترطها المحدثون لقبول الحديث النبوي الشريف، من اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، وعدم الشذوذ، وعدم العلة.

أما أسفار التوراة المنسوبة لسيدنا موسى عليه السلام، فهي منقطعة[1] السند منذ زمن عزرا مؤلف التوراة - بزعم اليهود - والذي عاش بعد سيدنا موسى بعدة قرون، كما أنها بجانب ذلك متضاربة المتن، متناقضة تناقضا كبيرا بحيث لم يستطع أحبار اليهود حتى محاولة الجمع بينها في صورة من الصور.

وبهذا يبطل زعم المستشرقين الثلاثة : أن النبي ﷺ كان قد أخذ التوحيد عن أحبار اليهود، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٦ - مقارنة بين توحيد الله وتنزيه الرسل في الإسلام وفي اليهودية :

أولا : توحيد الله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به :

إن السلف الصالح من المسلمين وخلفهم قد تمسكوا بعقيدة التوحيد كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ودافعوا عنها ضد أصحاب البدع والأهواء، وضد المفسدين الحاقدين على الإسلام.

ولقد سبق أن رأينا أن التوحيد في الإسلام هو إفراد الله بالعبادة والطاعة والإلوهية، وتنزيهه عن الشرك، وتوحيد الأسماء والصفات، ولقد بين القرآن الكريم ذلك في كثير من السور التي أوردنا بعضها سابقا.
كما بينه الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه، ومنها الحديث الذى أخرجه الإمام البخارى بسنده، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «سألت النبي ﷺ عن أى الذنب أعظم عند الله؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت : إن ذلك

---

(١) إظهار الحق ١/٥٦ - ٥٨.

لعظيم، قلت : ثم أي؟ قال : ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قلت : ثم أي؟ قال : ثم أن تزاني بحليلة جارك» .[1]

والحديث الذى أخرجه إبن ماجه بسنده، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ قرأ «أو تلا» ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾»[2]. فقال : قال الله عز وجل : ﴿**أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله آخر، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل ان اغفر له**﴾[3].

ومنها الحديث الذي أخرجه الامام مسلم بسنده، من حديث معاذ بن جبل، رضي الله عنه قال : «كنت ردف رسول الله على حمار يقال له عفير، قال : فقال : يا معاذ، تدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. قال : قلت : يا رسول الله، أفلا أبشر الناس قال : لا تبشرهم فيتكلوا.[4]

والحديث الذي أخرجه الإمام مسلم أيضا، من حديث عبدالله رضي الله عنه، قال : «لما نزلت (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ)[5] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول ﷺ : ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه (يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[6][7].

والحديث الذي أخرجه مسلم كذلك بسنده، من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال : «كنا عند رسول رسول الله ﷺ فقال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ـ ثلاثاـ :

الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت»[8].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «فلا تجعلوا لله اندادا . ٢١٤/٢٥ (من صحيح البخاري بشرح الكرماني).

(٢) سورة المدثر : آية : ٥٦

(٣) اخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٤٣٧/٢. حديث رقم : ٤٢٩٩

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الايمان، باب حق العباد على الله ٢٣٢/١ (من صحيح مسلم شرح النووي).

(٥) سورة الأنعام : آية : ٨٢.

(٦) سورة لقمان : آية : ١٣.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه ٨١/٢ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أكبر الكبائر ٨١/٢ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

إن هذه الأحاديث وأمثالها تحث على عبادة الله وحده، وعدم الشرك به.

إن التناقض الملموس في متون التوراة يشكك في أصالة ما ورد فيها وبخاصة في موضوع التوحيد، فبينما تدعو بعض الأسفار إلى إفراد الله بالعبادة، كالقول الوارد في سفر أشعياء (إنك وحدك إله جميع ممالك الأرض، أنت صنعت السموات والأرض).

نجد أن بعض الأسفار الأخرى قد ناقضت هذا، وذلك عندما جعلت موسى إلها، وجعلت أخاه هارون نبيا له، فقد جاء في سفر الخروج ما يأتي: «فقال الرب لموسى: انظر قد جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك»[1] كما أن بعض أسفار التوراة قد نسبت إلى الله سبحانه وتعالى الولد. وذلك في قول مؤلف سفر الخروج، حيث زعم أن سيدنا يعقوب (إسرائيل) بن إسحق هو ابن الله البكر، وأن الله سبحانه وتعالى بزعمه قد قال «إن إسرائيل ابني البكر»[2].

لقد رد الإمام الماتريدي على الذين يدعون أنهم يوحدون الله تعالى، ثم يشركون به ما لم ينزل به سلطانا، ومن بينهم اليهود بقوله: «إن منهم من يقول بالباري وقدم الباري، ويجعل معه جميع الأعيان، ومن يقول بالطينة والهيولى، فيجعلها واحدا، ثم أتلفه وجعل ما لا يحصى منه ـ أي من الهيولى ـ على الانتقال والفناء. ومن يقول بالواحد.. ويجعل جميع الخيرات أجزاء له... واليهود حققوا له شبه الخلق، فيكثر به العدد، حتى بلغ قولهم إلى حد إمكان الولد.. وفي كل ذلك إبطال للتوحيد..

أما قول فريق التوحيد ـ المسلمون ـ: إنه واحدي الذات، إليه حاجات الآحاد، متعال عن معنى الآحاد، وعما يوجب صفة الأعداد، ويتمكن فيه صفة التغيير والزوال، أو الحدود والنهاية، موصوف بالقدم والقدرة، جل وعز عن التغيير والزوال»[3].

ثانيا: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والنهي عن عبادة الأوثان:

لقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة تدعو الخلق إلى إفراد الله

---

(١) سفر الخروج: ٧/١ من الكتاب المقدس ١/١٠٧.

(٢) سفر الخروج: ٤/٢٢ من الكتاب المقدس ١/١٠٣.

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب: ١١٨ ـ ١٢١.

سبحانه وتعالى بالعبادة، وإفراده بالطاعة، والإخلاص، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء، والمحبة الخالصة، قال سبحانه وتعالى : « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »[١]. وقال سبحانه وتعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ »[٢]

وجاء في الكتاب الذي بعث به النبي ﷺ إلى هرقل ما يلي : « قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[٣] وفيه أيضا قول هرقل لأبي سفيان «وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت : أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان».[٤]

إن إفراد الله بالعبادة يستلزم كذلك عدم إشراك أنبيائه معه، أو عبادتهم كآلهة، كما زعم مؤلف سفر الخروج، حيث زعم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل موسى إلها لفرعون. ولقد حذر النبي ﷺ من عبادة الأنبياء والأولياء والصالحين وذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده، من حديث عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا. قالت : لولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا»[٥]

وإنه لمن الثابت لدى المسلمين من نصوص القرآن الكريم : أن إفراد الله بالعبادة كان محور دعوة جميع أنبياء الله ورسله، وأنهم بلغوا رسالاتهم كما أمرهم الله.

وقال تعالى : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٥٦.

(٢) سورة النحل : آية : ٣٦.

(٣) سورة آل عمران : آية : ٦٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ١/٦٢، ٦٣ (من صحيح البخاري بشرح الكرماني).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٣/٢٠٠ من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ »[1].

وقال تعالى : « وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ »[2]. وقال تعالى : « وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ »[3] وقال تعالى « فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ »[4] وقال : تعالى « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ »[5].

لقد اعترف بعض من ألف التوراة ـ كما رأينا آنفا ـ بضرورة إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بينما ذهب بعضهم الآخر إلى الادعاء أن أنبياء الله كانوا قد زينوا لنبي إسرائيل عبادة الأوثان، ومن بين أولئك الأنبياء المتهمين بالشرك : سيدنا موسى، وسيدنا هارون، وسيدنا سليمان، عليهم السلام.

ثالثا : عدم تجسيم أو تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه

يصف السلف الصالح وخلفهم من المسلمين الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه من صفات كما جاءت في القرآن الكريم، أو بما وصفه به رسول الله ﷺ، كما جاء في السنة النبوية المطهرة، مع عدم التمثيل والتشبيه والتجسيم، يقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية : «من الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله «لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ»[6] فلا ينفون عنه ما وصف

---

(١) سورة الأعراف : آية : ٥٩.
(٢) سورة الأعراف : آية : ٦٥.
(٣) سورة الأعراف : آية : ٨٥.
(٤) سورة طه : آية : ١١ ـ ١٤.
(٥) سورة الأنبياء : آية : ٢٥.
(٦) سورة الشورى آية : ١١.

به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته وصفات خلقه، لأنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لايعلمون، ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلام على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. وأن سنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، وما وصف الرسول ﷺ به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعروفة بالقبول وجب الإيمان بها»[2].

ويرد الأمام الأشعري على من يشبه الخالق بالمخلوق بقوله: «فإن قال قائل: لم زعمتم أن البارى سبحانه وتعالى لا يشبه المخلوقات؟.

قيل له: لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث كحكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من جميع الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثا مثلها، وإن أشبهها من بعضها كان محدثا من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدث قديما، وقد قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]»[4]

يرد الإمام الأشعري أيضا على من يقول: إن الله سبحانه وتعالى جسم بقوله:

«فإن قال قائل: لم أنكرتم أن يكون الله تعالى جسما؟.

قيل له: أنكرنا ذلك لأنه لا يخلو أن يكون القائل لذلك أراد أن يكون طويلا عريضا مجتمعا عميقا، أو أراد تسميته جسما، وإن لم يكن طويلا عريضا مجتمعا عميقا. فإن أراد أن يكون طويلا عريضا مجتمعا عميقا كما يقال في الأجسام، فهذا لا يجوز، لأن المجتمع لا يكون شيئا واحدا، لأن أقل قليل الاجتماع لا يكون إلا من شيئين، لأن الشيء الواحد لا يكون لنفسه مجامعا، فبطل بذلك أن يكون الله تعالى مجتمعا»[5].

---

(١) سورة الصافات: آية: ١٨٠ - ١٨٢.

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى ١/٣٩٣ - ٣٩٨.

(٣) سورة الشورى: آية: ١١.

(٤) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: ٢٠.

(٥) اللمع: ٢٣.

أما اليهود فقد شبهوا الخالق بالمخلوق، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى تجسد في صورة إنسان لكل من إبراهيم ويعقوب، وأنه سبحانه وتعالى طعم مع الملكين اللذين حضرا معه لزيارة إبراهيم، واستراح في ظل شجرة، بينما يروي القرآن الكريم نفس القصة، ولكن بصورة مختلفة تماما، قال تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ».[1]

وفي سورة الذاريات: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ»[2].

وحسب ما ورد في القرآن الكريم في هذه الآيات وآيات أخرى مشابهة فإن الملائكة هم الذين أتوا إلى إبراهيم وبشروه بإسحاق ويعقوب، وأن ملائكة الله يمكن أن يظهروا للأنبياء والرسل في صورة بشر، وهذه من خصائص الملائكة، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، الذى أخرجه الإمام البخاري بسنده، من حديث عائشة رضي الله عنها «أن الحرث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليَّ - فيفصم عني وقد وعيت عنه ماقال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا»[3].

---

(١) سورة هود: آية: ٦٩.

(٢) الذاريات: آية: ٢٤ - ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ١/١٨ من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري.

رابعا: تنزيه الأنبياء والرسل :

لقد رأينا فيما سبق كيف كرم الإسلام الأنبياء والرسل، ورأينا كذلك أن القرآن الكريم حث المؤمنين على الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة. واتضح لنا أن الله تعالى قد فضل هؤلاء الرسل على الناس أجمعين، وشرفهم بحمل رسالته للخلق، فكانوا صفوة الخلق.

أما مؤلف سفر التكوين فقد زعم بأن سيدنا إبراهيم الخليل هو الذي قام بعزل ابنه اسماعيل من النبوة، وأن الله سبحانه وتعالى أقر إبراهيم على ذلك ثم بارك إسحاق وحده.

ولكن القرآن الكريم قد بين أن بركة الله حلت على إسماعيل أيضا، وليس على إسحاق ونسله فقط - كما يدعي مؤلف سفر التكوين - ويؤكد هذا ويجزم به ما جاء في القرآن الكريم من قول الله عز وجل : « وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ »[1].

أما ما قاله مؤلف سفر التكوين : من أن نبي الله يعقوب تآمر مع والدته، وخدع أخاه عيسوى، فلا يؤمن به المسلمون، لأن الله تعالى مدح سيدنا يعقوب بأنه من المصطفين الأخيار. قال تعالى في كتابه العزيز « وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ »[2].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢٥ - ١٢٨.

(٢) سورة ص : آية : ٤٥.

ولقد زعم مؤلف سفر التكوين أيضا أن الله سبحانه وتعالى لم يعصم سيدنا لوطا عليه السلام من الوقوع في جريمة زنا المحارم، وهو الذي أرسل لينهي قومه عن ارتكاب الفاحشة، لذا لا يأبه المسلمون بما جاء في ذلك السفر، لتعارضه مع الآيات القرآنية التي برأت سيدنا لوطا. قال تعالى: «وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ»[1].

اما مؤلف سفر الملوك فقد حاول أن يبرر الوثنية التي كانت متمكنة من بني إسرائيل حال حياة موسى وبعد وفاته، ليزعم أن بني إسرائيل لم يعبدوا الأصنام إلا بتضليل من نبي الله موسى عليه السلام، أما المسلمون فيكذبون هذا الخبر لأن القرآن الكريم يبين كيف وبخ موسى عليه السلام بني إسرائيل عندما طلبوا منه أن يجعل لهم إلها آخر مع الله سبحانه وتعالى، وذلك عند مرورهم بوثنيين يعكفون على أصنام لهم، قال تعالى: «وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ»[2].

أما عبادة بني إسرائيل للعجل فقد جاءت نتيجة لفساد نفوسهم ولتضليل السامري لهم، كما ورد في القرآن الكريم، وليس نتيجة لتضليل هارون لهم، كما ادعى مؤلف سفر الخروج، قال تعالى: «قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ»[3] وقال تعالى أيضا: «وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ»[4].

---

(١) سورة النمل: آية: ٥٤ - ٥٧.

(٢) سورة الأعراف: آية: ١٣٨ - ١٤٠.

(٣) سورة طه: آية: ٨٥.

(٤) سورة طه: آية: ٩٠ - ٩١.

لقد سبق أن رأينا كذلك كيف أن مؤلف سفر الملوك اتهم سيدنا داود عليه السلام بارتكاب جرائم خلقية منفرة : مثل إرسال أحد قواده إلى ميدان الجهاد، وتدبير المكايد له حتى يقتل، ليستولي هو على زوجته الحسناء من بعده.

لكن القرآن الكريم يعارض هذه الأباطيل، ويصف سيدنا داود بكل صفات التقوى والصلاح، والعلم والحكمة، مما أهله أن يكون خليفة الله في الأرض. قال تعالى : « فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ »[1]. وقال تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ »[2] وقال تعالى : « وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا »[3] قال تعالى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ »[4] وقال تعالى : « وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ »[5] وقال تعالى : « يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ »[6].

أما التهم التي وجهت من قبل مؤلف سفر الملوك أيضا إلى سيدنا سليمان من أنه كان لا يتورع عن معصية الله. وأن الأغراض الدنيوية والنساء قد أمالت قلبه عن الله إلى عبادة الأوثان، هذا الزعم السخيف أيضا لا يقبله المسلمون، لأن الله سبحانه وتعالى نزه هذا النبي، وبين أنه كان حامدا شاكرا معترفا بفضل الله عليه. قال تعالى : « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ »[7].

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٥١.
(٢) سورة سبأ : آية : ١٠
(٣) سورة النساء : آية : ١٦٣.
(٤) سورة الانبياء : آية : ١٠٥.
(٥) سورة ص : آية : ٤٠.
(٦) سورة ص : آية : ٢٦
(٧) سورة النمل : آية : ١٥، ١٦.

ولقد بين القرآن الكريم كذلك : أن الله تعالى قد سخر لسليمان الطير والجن والإنس قال تعالى : « وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ »[1].

ومما يدلنا على أن سيدنا سليمان وجنده كانوا يستنكرون عبادة الأوثان والأصنام، ويذمون الإشراك بالله : قول الهدهد ـ وهو أحد جنود سليمان كما جاء في القرآن الكريم ـ: « إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ »[2].

ولقد بين القرآن الكريم كذلك : أن سيدنا سليمان عليه السلام لم يكن يعبد إلا الله الواحد القهار، قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ : « قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ »[3].

هذه هي سيرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما جاء بها القرآن الكريم، كما جاءت بها السنة النبوية الشريفة، وإن الخلاف الواضح بين قصص القرآن الكريم وقصص التوراة فيما يختص بشأن أولئك الأنبياء يبطل دعوى الاقتباس عن توراة اليهود بعد أن عبث بها مؤلفوها.

كما أن من يتأمل قصص الأنبياء وسيرتهم في توراة اليهود الحالية، وقصصهم في القرآن والسنة يجد الفرق واضحا بين ما احتواه القصص القرآني والحديث الشريف من مغزى وأحكام ودروس وعبر، وبين قصص التوراة التي لا مغزى لها ولا هدف ولا غاية، ليس هذا فحسب، بل إن مؤلفي التوراة قد شوهوا صورة

---

(١) سورة النمل : آية : ١٧.

(٢) سورة النمل : آية : ٢٣، ٢٦.

(٣) سورة النمل : آية : ٤٤.

الأنبياء، بحيث تجعل من يريد الاقتداء بهم يقع في الموبقات، ويرتكب أبشع أنواع الجرائم.

وهكذا نرى أن القصص الموجودة في التوراة إذا حكم عليها المسلمون بما جاء في القرآن والسنة لا يكون إلا بأنها مكذوبة على الله ورسله، وإذا قسناها بما حكم به علماء المصطلح على ما وصل إليهم من سنة رسول الله ﷺ، فإنها لا تشبه عندهم ولا تعادل إلا الأحاديث الموضوعة، وهي المكذوبة، المنسوبة ـ زورا وبهتانا ـ إلى رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم.

الخاتمة ونتائج البحث

لقد سقنا بعض الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في شأن التوحيد. ورأينا كيف زعم المستشرقون بأنها مستوحاة من اليهودية. ولقد حاول كل: من غيوم، وستوبرت، وجوبتين، إثبات أن مفهوم التوحيد في الإسلام لم يكن نقيا صافيا، بل ممزوجا بالشرك والوثنية.

لكن بعد أن استعرضنا مفهوم التوحيد في الإسلام وفي اليهودية، وبعد أن استعرضنا موقف كل من الإسلام واليهودية من أنبياء الله ورسله، اتضح لنا أن مفهوم التوحيد في الإسلام مغاير تماما لمفهوم التوحيد في اليهودية، وذلك منذ زمن النبي ﷺ حتى يومنا هذا.

إن التوحيد في الإسلام يعني الإقرار: أن الله هو الإله، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه سبحانه وتعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته، وأن كل ما سواه مخلوق بأمره، خاضع لمشيئته.

أما التوحيد عند اليهود كما جاء في أسفارهم فتشوبه كثير من صور الوثنية، وعبادة الأصنام، والشرك بالله وتجسيمه، ووصفه بصفات النقص، وتشبيه أفعاله بأحط أفعال البشر التخريبية، بل زعموا أن البشر يستطيعون هزيمته ودحره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وعليه فلا يعقل أن يكون رسول الله ﷺ قد أخذ التوحيد عن هؤلاء المشركين كما ادعى غيوم وصاحباه.

أما أنبياء الله: فقد رأينا كيف نزههم القرآن الكريم، وكيف نزهتهم السنة النبوية المطهرة عن الشرك، وعن الوثنية، والظلم، وتضليل الخلق، بل كانت كل جهودهم منصبة في هداية الخلق وقيادتهم إلى طريق الخير والرشاد، بينما نجد توراة اليهود قد وصفتهم بأقبح الصفات التي يمكن أن يتصف بها أحقر أنواع البشر: من خيانة، وخداع، وكفر، وغيره.

فكيف يمكن أن يدعي غيوم وصاحباه: أن الرسول ﷺ قد أخذ قصص أنبياء

بني إسرائيل عن أحبار اليهود، مع وجود هذا التناقض الواضح الجلي بين الروايات الواردة عنهم في كل من القرآن والسنة من جهة، وفي توراة اليهود من الجهة الأخرى.

أما افتراءات المستشرقين على رسول الله ﷺ واتهامه بالتقرب إلى الأوثان، وأن زيدا هو الذي هداه إلى التوحيد، فقد رأينا فسادها، لأن ما استند عليه غيوم من مراجع ليس مما يعتد به، وبخاصة أن القصة التي أوردها تناقض وتخالف ما ورد في المصادر والمراجع العديدة التي يعتد بها جمهور المسلمين، كما أنه قام بالاستشهاد بحديث أخذ عن مصدر مجهول، وجزم أنه حديث صحيح. في نفس الوقت الذي ينكر فيه صحة الأحاديث النبوية المتصلة السند، والواردة في كتب السنة الصحيحة، ويشكك في أصالتها وصحتها، كل هذا يدل دلالة واضحة على عدم أمانة غيوم العلمية، وعدم نزاهته وجديته وموضوعيته في الآراء التي أوردها عن الإسلام.

أما ستويرت وجويتين: فقد تطابقت طريقتهما في البحث والتأليف مع طريقة غيوم، مما أفقد بحثيهما أيضا الدقة والنزاهة والموضوعية التي ينبغي أن تتصف بها البحوث العلمية المنهجية.

نخلص من هذا إلى أن جهود هؤلاء المستشرقين وكثير من أمثالهم لا تستند على حجة ولا عقل ولا منطق، بل هي جهود مغرضة، الهدف منها هو النيل من الإسلام، وأهله، عن طريق إثارة بعض الشبهات الواهية، والآراء المتهافتة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

مراجع البحث

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، بتحقيق على محمد البجاوي القاهرة مكتبة نهضة مصر.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٠م.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر الغسقلاني، تحقيق طه محمد الزيني القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٧٧م.

(٤) الأصنام، لابن الكلبي، بتحقيق الأستاذ أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة عام ١٩٢٤م.

(٥) البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير، الطبعة الأولى، أشرفت على طبعه وإخراجه مكتبة المعارف بيروت ـ مكتبة النصر الرياض، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

(٦) تاريخ بغداد (مدينة السلام) للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.

(٧) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لسعيد بن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ـ لبنان عام ١٩٠٥م.

(٨) تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للسيوطي، طبع مصر عام ١٣٠٧هـ.

(٩) تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٠م.

(١٠) التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة، تعليق مراجعة محمد خليل هراس ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(١١) جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(١٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

(١٣) سيرة ابن اسحاق ـ تأليف محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق وتعليق محمد حميد الله، طبع إدارة الوقف للخدمات الخيرية، قونية، تركيا عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(١٤) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة بيروت.
(١٥) شرح العقيدة الواسطية، تأليف محمد خليل هراس، مراجعة عبدالرازق عفيفي، الطبعة الرابعة، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.
(١٦) صحيح البخارى شرح كل من
(أ)عمدة القارى، للبدر العيني، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٥٩م.
(ب) فتح البارى، لابن حجر العسقلاني، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
(جـ) الكواكب الدرارى في شرح البخاري، للكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية.
(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
(١٨) الفهرست، لابن النديم، تحقيق د. ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م.
(١٩) القاعدة المراكشية، لابن تيمية، تحقيق ناصر سعد الرشيد، ورضا بن نعسان معطي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
(٢٠) الكامل في التاريخ، لابن الاثير، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
(٢١) الكتاب المقدس، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠م.
(٢٢) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، تصحيح وتقديم وتعليق د. حمودة غرابة، مطبعة مصر ١٩٥٥م.
(٢٣) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.
(٢٤) معجم الأدباء، لياقوت الحموي مراجعة وزارة المعارف العمومية الطبعة الأخيرة، مطبعة دار المأمون بمصر عام ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

مراجع أجنبية

1) Alfred Guillaume. Islam, Macmillan, New York, 1976.

2) Alfred Guillaume. The Tradition of Islam, Macmillan, New York 1968.

3)Abraham, L. Katsh. Judaism in Islam, New york, 1954.

4) James. H & John S. Encyclopedia of Religion and Ethisc, Charls Scribner's, New York, 1916.

5)Jonesm W.T. A History of Western philosophy, New York, second edition, 1969.

6) Splomon, D. Goitein. Jews and Arabes Through Ages, New York, 1955

7) Stobert J.H. Non-Christian Religious System : Islam and its Founder, New York, 1962.